موسوعة تراثك الشعري

1

البارودي

شاعر البطولة والأصالة

قراءة نصية

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

928.11
م . ن
متولي ، نعمان عبد السميع.
البارودي شاعر البطولة والأصالة قراءة نصية / نعمان عبد السميع متولي.- ط1.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع.
160 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .
تدمك : 4 - 710 – 308 – 977 – 978
1- الشعراء العرب.
أ - العنوان .

رقم الإيداع : 22079

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتف- فاكس : 0020472550341 محمول : 00201277554725-00201285932553
E-mail: elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع
تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر
هاتف : 24308278 (0) 002013
محمول 661623797 (0) 002013 & 772136377 (0) 002013
E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

تحـــــذيـــــر:

يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأي شكل من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

2020

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم
مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَار
خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .

(سورة العنكبوت الآية 58-59)

إهداء

إلى حفيدتنا الغالية (روفان) وقد أطلت
على الدنيا بوجهها المشرق الصبوح النديّ ،
داعيا الله أن يحفظها ويرعاها ، وينبتها
نباتا حسنا

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مقدمة 9

الأدب في العصر العثماني 11

النهضة الأدبية 19

مراحل تطورالأدب العربي الحديث 29

البارودي 39

قراءة نصية 47

مقتطفات من أجمل قصائد البارودي 89

الحكمة في شعر البارودي 145

المراجع والمصادر 155

مقدمة

البارودي صاحب السيف والقلم ، ورائد النهضة الشعرية التي عاشها شعرنا العربي في العصر الحديث ، هو موضوع هذا الكتاب نتناول مسيرة حياته ، ونسلط فيه الضوء على ماأبدع من شعر ونخص بعض قصائده بالشرح والتحليل ونورد بعض قصائده اخترناها من ديوانه الضخم الذي يضم تراثا هو الدر بعينه ، في محاولة منا لتعريف الناشئة من أبناء هذا الجيل بمثل هذه الأعلام والقمم التي كان لها الدور الأسمى والقدح المعلى في مسيرة الشعر وتستطيع أن تتبين شخصية البارودي من خلال شعره فكثيرًا ماتحدث فيها عن فروسيته وأمجاده التي حققها ويفتخر بما يملك من حسن الصفات وعراقة الأصل وكرم المحتد ، وهو يشير إلى ذلك في قوله :

فانظر لقولي تجد نفسي مصورة في صفحتيه فقولي خط تمثالي

وكان مقدورا لشاعرنا أن ينفى إلى سرنديب إثر المؤامرة التي حيكت خيوطها للثائرين الذين ثاروا على ظلم الخديوي وحاشيته ، وقد لقي منهم من الظلم الكثير وكثر حوله من خدعوه وتنكروا له ، يقول :

وَأَقْتَلُ دَاءٍ رُؤْيَةُ الْعَينُ ظَالِمًا يُسِيءُ، وَيُتْلَى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
أَبَتْ لِي حَمْلَ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ وَقَلْبٌ إِذَا سِيمَ الأَذَى شبَّ وَقْدُهُ

وهو في مواضع شتى من ديوان شعره الكبير يشير إلى هؤلاء المخادعين الظالمين المتلونين الذين تعافهم نفسه الأبية التي تأبى الضيم ولاترضى به ، يقول :

أدهى المصائب غدر قبله ثقة وأقبح الظلم صد بعد إقبـــال

وقد عيي من هؤلاء الختالين ، وملت نفسه لقاءهم والتعامل معهم ، وكان صعبا عليه أن يعمل مع أصحاب هذه النفوس الملوثة ، يقول :

وَأَصْعَبُ ما يَلْقَى الْفَتَى فِي زَمَانِهِ صَحابَةُ مَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ فَقْدُهُ

وكان للحكمة نصيب الأسد في شعره ، فأفردنا لها فصلا خاصا بها لما تمثله من مكون مهم في بنية الشعر عندالبارودي ، كما ضمنا في هذا المؤلف ذكرا لخصائص شعر البارودي وسمات مدرسته الشعرية التي تولى ريادتها والإمساك بزمامها ، آملا أن يجد القارىء في هذا الديوان مايفيد .

والله الموفق والمعين

دكتور/ نعمان عبد السميع متولي

الأدب

في

العصر العثماني

(امتدت فتوحات الدولة العثمانية إلى ثلاث قارات، هى: آسيا وأوروبا وإفريقيا، ... ومضت جيوشها في زحفها حتى بلغت مشارف فيينا عاصمة النمسا في أواسط أوروبا..

وكان الوجود العثماني: العسكري والسياسي في هذه الأقاليم الأوروبيّة حقيقة واقعة لا مراء فيها)(تاريخ التمدين الإسلامي، جرجي زيدان: 4/ 246-247).

سياسة الدولة العثمانية تجاه الولايات المفتوحة

اتسمت سياسة العثمانيين بالاستعلاء الذي كان أبرزملمح في الخلق العثماني، يستوي فيه السلاطين والأتراك العثمانيون، (ونُظر إلى الشعوب الإسلامية نظرة استعلاء.. فظلت الشعوب الأوروبية التي خضعت للعثمانيين محافظة على لغاتها وثقافتها، وعاداتها وتقاليدها، ودياناتها فى الأعم الأغلب، وغير ذلك من مقومات حضاراتها، ومن هنا كان الأثر الحضاري للعثمانيين في تلك الشعوب الأوروبية قليلا للغاية،كما كانت الشعوب الأوروبية لا تدين لهم ثقافيا أو حضاريا (الدولة العثمانية دولة إسلامية: 1/ 321: 323) فقد حال هذا الاستعلاء الذي تعددت مظاهره دون قيام تقارب بين الحكام والمحكومين.. وقنعت الدولة بالجزية السنوية تُرسل إليها من كل ولاية

ما عدا إقليم الحجاز وبذكر اسم السلطان مقرونًا بالدعاء له على منابر المساجد في خطب أيام الجمع والأعياد؛ وبالعملة تضرب باسمه؛ وبوالٍ عثماني نائبًا عن السلطان في كل ولاية، وهو يحمل رتبة الباشوية أو البكوية.. وبقوة عسكرية عثمانية ترابط في البلاد، ويطلق عليها أهلُ الولاية اسم «الحامية العثمانية» وكان حصاد هذه السياسة أن احتفظت الشعوب الإسلامية، وهي في ظل الحكم العثماني بلغاتها وثقافتها، وعاداتها وتقاليدها، (المرجع السابق: 1 / 325: 327) .

(أما الآداب العربية على الإجمال فأصبحت في أحّط أدوارها.. وقد أصاب الشعر ما أصاب سائر الآداب العربية في هذا العصر، فاستولى الجمود على القرائح... كان هذا العصر- من الوجهة الثقافية عصر جمود وعقم)(مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: ص 93- 94، 149).

ومع ذلك ؛ فمن الإنصاف القول أن الأدب في العصر- العثماني كغيره من العصور فيه الغث، وفيه السمين ،لكن الضعف الأدبي كان ملموسا في أدب هذا العصر ، وهذا لايمنع من وجود بعض الأصوات الشعرية والأدبية الجادة، لكنها قليلة بل قل نادرة ، وحقيقة الأمر أن الدولة العثمانية لم تحارب اللغة العربية، لأنها لغة القرآن ولها المعزة

والمكانة العالية في النفوس لذلك حافظت العربية على مكانتها الدينية رغم أنها فقدت مكانتها الإدارية.

ولعل أكبر خطأ ثقافي للعثمانيين في مصر أنهم لم يهتموا ببناء المدارس فقل عددها ، وقلّ مستخدمو الأدب الفصيح في خطابهم الأدبي ، وترتب عليه أن ظلت الثقافة بوجه عام ، والأدب بوجه خاص في حالة من التردي ، كما أن الدولة العثمانية لم يكن لها قدرة ثقافية لوقف هذا الانحدار، لأن فاقد الشيء لا يعطيه؛ (فالدولة العثمانية وهي في أوج قوتها العسكرية كانت تخلو من أية قامات ثقافية كبرى، وكان محمد الفاتح يشكو من أن دولته تخلو من علماء يمكن مقارنتهم بعلماء الدول، ولاشك أن الحكم العثماني – في اعتقادي - كان على علم بحالته الثقافية المتدنية، وبأنه لا تتوفر له المقومات اللازمة لإحداث أي نهضة ثقافية، وربما لم يكن يؤمن بقدرته على وقف التدهور الثقافي الذي بدأ منذ فترة طويلة.

وكانت نتيجة ذلك أن تدهورالأدب الفصيح ولم يعد له مريدوه ومؤيدوه ، ودليل ذلك أنه وجد في هذا العصر شعراء كثيرون وردت ترجمتهم في (بدائع الزهور) لابن إياس وتناولهم الجبرتي في (عجائب الآثار) ، ولكن المتميزين المجيدين منهم كانوا ندرة بحيث يعدون على

أصابع اليد الواحدة ، فكان منهم : الشاعر محمد البكري ، والشهاب الخفاجي وعبد الله الإدكاوي وقاسم بن عطاء الله المصري ، وكان أبرزهم الشاعر عبدالله الشبراوي المتوفى سنة 1171هـ و الذي يقول عنه شوقي ضيف: (وواضح أن صياغة الشبراوي جيدة وفي شعره وشعر أمثاله من المعاصرين له ما يدل على أن الشعر كانت لا تزال فيه بقية من حيوية وحياة)(عصر الدول والإمارات: مصر والشام/ 219)

وهذا نموذج لتلك الأصوات الجادة النادرة وسط موجات الضعف التي كان عليها أدب ذلك العصر ، يقول الشاعر عبد الله الشبراوي ، وهو من علماء الأزهر آنذاك :

أعد ذكر مصر إن قلبي مولع ... بمصر ومن لي أن ترى مقلتي مصرا
وكرِّرْ على سمعي أحاديثَ نيلها ... فقد ردتْ الأمواج سائله نهرا
رويدا إذا حدثتني عن ربوعها ... فتطويل أخبار الهوى لذة أخرى
بلاد بها مد السماح جناحه ... وأظهر فيها المجد آيته الكبرى
عسى نحوها يلوي الزمان مطيتي ... وأشهد بعد الكسر من نيلها جبرا
لقتد كان لي فيها معاهد لذة ... تقضَّتْ وأبقتْ بعدها أنفسا حسرى
أحنُّ إلى تلك المعاهد كلما ... يُجدِّدُ لي مرُّ النسيم بها ذِكرى
رعى الله مرعاها وحيَّا رياضها ... وصبَّ على أرجائها المُزن والقطرا
يذكرني ريح الصَّبَا لذة الصِّبَا ... بروضتها الغنا وقد تنفع الذكرى
على نيلها شوقا أصبُّ مدامعي ... وأصبو إلى غدران روضتها الغرا

كساها مديد النيل ثوبا معصفرا وألبسها من بعده حلة زهرا
وصافح أغصان الرياض فأصبحت تمد له كفا وتهدي له زهرا
وأودع في أجفان منتزهاتها نسيما إذا وافاه ذو علة يبرا
وإن حدثوني عن فرات ودجلة وجدت النيل أحلى وإن مرا
سأعرض عن ذكر البلاد وأهلها وأروي بماء النيل مهجتي الحرَّا
وكم لي إلى مجرى الخليج التفاتة يسيل بها دمعي على ذلك المَجْرَى
وكم قلت للقلب الولوع بذكرها تصبَّرْ فقال القلب لم أستطع صبرا
لئن كنتُ مشغوفا بمصر فليس لي بها حاجة إلا لقاءَ بني الزهرا
أجلُّ بني الدنيا وأشرف أهلها وأنداهمُ كفا وأعلاهم قدرا
هم القوم إنْ قابلتَ نورَ وجوههم رأيتَ وجوها تُخْجِلُ الشمسَ والبدرا
وإنْ سمعتْ أذناك حسنَ صنيعِهم وجئتَ حماهم صدَّقَ الخبرُ الخبرا
لهم أوجهٌ نورُ النبوة زانها بلطف سرى فيهم فسبحان من أسرى
هم النعمة العظمى لأُمَّة جدهم فيا فوز من كانوا له في غد ذخرا
إذا فاخرتْ بهم عصبة قرشية فجدهم المختار حسبهم فخرا
ملوك على التحقيق ليس لغيرهم سوى الاسم وانظر تجدهم به أحرى

****

وماعدا هؤلاء الشعراء تستطيع أن تلمس في الشعر العثماني التكلف والصنعة واستخدام المحسنات اللفظية ، وتتبين في وضوح

مدى الضعف وفساد الذوق ، ونظرا لنضوب القرائح فقد شاع في تلك الفترة :

- شعر الألغاز والأحاجي
- التأريخ الشعري ، كقول الشاعر يؤرخ لتاريخ فيضان النيل :

النيل أوفي في توت حادي وعاشر وعلـــــى الله جبـــــر الخـــــواطر

- نظم العلـوم أو مايسـمى بالشـعر التعليمـي مثـل(الـدرة البهيـة في نظم الأجرومية للعمريطي)
- شيوع الشعر العامي كـالملاحم والسـير الشـعبية مثـل : السـيرة الهلالية ، والأميرة ذات الهمة وسيف بن ذي يزن .
- انصرف هم الشعراء إلى التشطير (وهـو أن يضـيف الشـاعر إلى كل شطر من أبيات قصيدة أعجب بها شطراً من عنده)
- كما شاع بين الشعراء فن الترقيط (وهو أن تشتمل قصـيدته عـلى كلمات كل كلمة فيها مبدوءة بحرف من حروف الهجاء) ، مثـل قول الشيخ على الدرويش توفى 1853 م.

علىّ على عينيك عذل عواذلي عذاب عليها عند عاشقها عذب

عذارك عذري عجب عطفك عـدتي عيونك عصبي عاد عائبها عضب

فكل كلمة من هذين البيتين مبدوءة بحرف العين.

النهضة الأدبية

بعد ضعف الدولة العثمانية وهزالها طمعت فيها الدول الغربية ، وتحالفت ضدها واستطاعت هزيمتها في مواقع كثيرة جعل العثمانيين يفقدون أجزاء مملكتهم جزءا تلو الآخر حتى انقضت عليها الدول الأوربية واستولت على بلاد الشرق وتقاسمتها فيما بينها ، فاحتلت بريطانيا بعض الدول العربية كمصر ـ والسودان والعراق ، وفرضت سيطرتها عليها كما احتلت فرنسا بلاد الشام والمغرب العربي وفرضت سيطرتها عليها ، كما احتلت إيطاليا ليبيا وظل الوطن العربي يعاني من ها الاستعمار الأوروبي الذي نهب ثروات العرب وأدى إلى تخلفهم في شتى المجالات : السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، إلا أن العرب أفاقوا من غفوتهم مع مطلع العصر ـ الحديث وبعد صراع مرير مع المستعمرين نالت الدول العربية استقلالها دولة تلو الأخرى.

وصحب استقلال هذه الشعوب العربية اتصال الشرق العربي بأوربا ، التي كانت قد بلغت شأوا بعيداً في التقدم العلمي ، وأحرزت نتائج باهرة في مختلف العلوم ، وكان لهذا الاتصال أثر واضح فى نهضة البلاد العربية ، فمنذ سنة 1797م ، التي يعتبرها مؤرخو الأدب الحديث البداية الحقيقية في تلك السنة حيث دخل نابليون مصر واصطحب معه في حملته العسكرية جماعة من العلماء في تخصصات

مختلفة ، فأنشأ مجمعاً علميا ، وأحضر معه مطبعة عربية كـان يطبـع بهـا المنشورات والتعليمات التي يريد إيصالها إلى الشعب المصري ، ولم تكن مصر تعرف الطباعة قبل ذلك،على الـرغم مـن أن نـابليون وعلـماءه لم يمكثوا في مصر أكثر مـن ثـلاث سـنوات فقـد كـان لتلـك السـنوات الثلاث أثر بليغ في الثقافة العربية والأدب العربي لأن ذلك اللقـاء بـين الشـرق وأوربا قد بعث في الشرـق روح التحـدي والتصـدي لمـا طـرد المصـريون نابليون من مصر سنة 1801م .

ولّما تولّى محمد على عرش مصر سنة 1805م فكر في إنشاء دولة حديثة واستعان بما وصلت إليـه أوربـا مـن تقـدم في العلـوم والفنـون والآداب ،ومعلوم أنه – محمد علي – كان يهدف إلى إنشاء دولة حديثـة قوية ليتوارثها أولاده وأحفاده من بعده ، ومع ذلـك فقـد كانـت تلـك تباشير النهضة الحديثة ، ومن ثم وضعت بذور النهضة ، وتجمعت عدة عوامل أدت إلى نهضة الأدب العربي الحديث والتي كانـت بدايتـه هنـا من مصر ، وهذه العوامل هي :

- تسيير البعثات العلمية إلى أوربا

ففي عام 1826م أرسل محمد على أربعـة وأربعـين طالبـا مـن الشباب المصريين النابغين إلى فرنسا ليتقنوا اللغة الفرنسـية مـن ناحيـة

ويتخصصوا في العلوم المختلفة : الطبيعة ، والكيمياء والأحياء ، والعلوم البحرية ، والميكانيكا والترجمة والطب والجراحة والتشريح ، وكانت هذه البعثة بمثابة اللقاء الأول بين المصريين وبين الثقافة الغربية.

وآتت البعثة ثمارها وأكلها فقد عاد هؤلاء المبعوثون بزاد ثقافي جديد ، وعقلية متفتحة أنضجهاالاتصال المباشر بالحضارة الغربية ، وعرفوا أشياء ماكان لهم أن يعرفوها بغير هذه البعثات، **فقدموا لوطنهم مصر خدمات أبرزها :**

- القيام بترجمة كثير من علوم أوربا إلى اللغة العربية ؛ فأتاحوا لكثير من الدارسين الاطلاع على هذا الزاد الثقافي الذي تضمه هذه المترجمات .
- قام كثير من المبعوثين بتأليف كتب باللغة العربية في العلوم والآداب فأثروا اللغة بما زودوها به من أفكار ومصطلحات حديثة.
- يرجع إليهم الفضل في تحفيز كثير من الدارسين في السفر والذهاب في مثل هذه البعثات .

ظهور الطباعة:-

عرف الشرق العربي المطبعة حين ظهرت في لبنان ، وكانت قاصرة آنذاك على طباعة الكتب الدينية .

ولما جاء نابليون بحملته العسكرية إلى مصر استقدم معه مطبعة بغرض خدمة حملته العسكرية ، وأدت هذا الدور المنوط بها حتى أجلت حملة نابليون الاستعمارية على مصر .

وبعد رحيل الحملة الفرنسية عن مصر وتولي محمد علي الحكم أنشأ أول مطبعة عربية في مصر سنة 1821م في حيّ بولاق وعرفت باسم مطبعة بولاق، والتي كان لها تأثرها الواضح في النهضة الأدبية المعاصرة حيث قامت بما يلي :

- طباعة أمهات كتب الأدب العربي شعرًا ونثرًا ، وطبعت المئات من الكتب العربية فى الطب والرياضيات والطبيعيات ، والتاريخ والتفسير والحديث- يسرت تداول الكتب فأقبل الناس على ماطبع من كتب الأدب ودواوين الشعر يقرءونها ، ويحفظون مافيها .
- شجعت الدارسين والعلماء على طباعة كتبهم ومؤلفاتهم

- ساعدت على حفظ كتب التراث والتاريخ والمراجع العلمية الثمينة .
- أوجدت مناخا ثقافيا لم يعهده المصريون من قبل .
- أدى إنشاء المطبعة إلى ظهور لون جديد من ألوان القراءة هو الصحيفة التي لم تكن معروفة في الثقافة العربية من قبل.

ظهور الصحافة:

كانت أول صحيفة ظهرت في الوطن العربي سنة 1828م في عهد محمد علي (الوقائع المصرية) وهي صحيفة تعني بشئون البلاد ، تولى رئاسة تحريرها رفاعة رافع الطهطاوي ، وهو عالم أزهري من أوائل الطلاب النابغين الذين ذهبوا مع أول بعثة إلى فرنسا ليكون إمامًا لها في الصلاة ومرجعًا لها في شعائرها الدينية الأخرى ، فاستغل وقت فراغه في تعلم اللغة الفرنسية وتعلمها وأتقنها ، وقرأ بها كثيرًا في السياسة والتاريخ والجغرافيا والأدب الفرنسي شعرًا ونثرًا ، فأضاف إلى ثقافته الأصلية ثقافة غربية ، توفى سنة 1873م ، وأحدث ظهور الصحافة تأثيرا بالغا وساهم في نهضة الأدب بما كان فيها من فوائد جمة أبرزها :

- ساهمت الصحافة في صقل وتهذيب لغة النثر ، ونقلته من المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق ، إلى نثر مرسل متحررمن قيود الصنعة البديعية المتكلفة .
- جنحت بأسلوب الكتابة نحو الإيجاز والسهولة لأن قراء الصحف لا يسيغون التقعر والإغراب في اللغة.

- إنشاء الجمعيات العلمية والأدبية

- أنشئت أول هذه الجمعيات في سوريا 1847م ، وكان هدفها الارتقاء بالعلوم ونشر الفنون والآداب.
- وأنشئت في مصر جمعية اسمها (جمعية المعارف) فقامت بطبع طائفة من الكتب الأدبية والتاريخية والفقهية .
- وظهرت جمعية أخرى أطلق عليها (جمعية التعريب) وكان هدفها ترجمة الكتب الأجنبية في الاقتصاد والاجتماع.

ولاشك أنه كان لهذه الجمعيات الأدبية والعلمية الأثر الكبير في النهضة الأدبية بما قدمت من خدمات لأعضائها وروادها.

- التوسع في إنشاء المدارس الحديثة

كانت منظومة التعليم ، فيما مضى ، محدودة تتمثل في الكتاتيب ، والمدارس الأولية التي تعين على حفظ القرآن الكريم ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، بالإضافة إلى المعاهد الدينية التي تهتم بتعليم مبادىء الدين وتفسيرالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وتعليم العربية نحوا وصرفًا وبلاغة ولغة وأدبًا ، مع شيء قليل من العلوم والرياضيات .

وعلى غرار المدارس الغربية المتقدمة أنشئت المدارس الحديثة على نمط المدارس الأوربية التي تعلم اللغات والعلوم الحديثة كالرياضيات والجغرافيا والأحياء والكيمياء والطبيعة ، فكان لهذه المدارس أثر بالغ في نهضة الأدب **تمثل في ما يلي :**

- ظهور جيل واع من الدارسين يؤمن بأهمية العلم والثقافة والأخذ بزمام التقدم والنهوض.

- فتح قنوات الاتصال على منابع العلم أينما وجدت .
- أصبحت هذه المدارس نافذة لنشر الوعي الثقافي في البيئة المحيطة بها .

ظهور المسرح:

ظهر المسرح لأول مرة مع غزو نابليون لمصر ؛ فكـان ذلـك شـيئًا جديدًا فى الشرق ، وفي أول عهده اعتمد على نصوص مسرحية مترجمة، حيث قام عدد من الأدباء بترجمة بعض المسـرحيات مـن الفرنسـية إلى اللغة العربية مما أضاف رافدًا جديدًا إلى الأدب العربي.

- المستشرقون:

هم جماعة مـن علـماء مـن أوربـا وأمريكـا وروسـيا ، تخصصـوا في دراسة الشرق وتاريخه وآدابه ودياناته ولغاته ، وكـان لهـم دور كبـير في نهضة الأدب **وقاموا بجهود كثيرة منها :**

- دراسته دراسة عميقة– قاموا بدراسة آداب العربية دراسة عميقة مبنية على أسس من مناهج البحث العلمي .
- جمعوا كثيرًا من الكتب المخطوطة وقاموا بدراستها وتصـحيحها وطبعها فى صورة جميلة.
- ساهموا في نشر كثير من دواوين الشعراء وكتب الأدب ، وقـاموا بتدقيقها وتصحيحها .
- يسروا للأدباء والشعراء الاطلاع عـلى هـذه الكتـب المصـححة فنهلوا مما فيها من نثر وشعر وماتضم من بلاغة وجمال.

مراحل
تطور الأدب العربي

الحديث:

أولاً : الشعر

مر الشعر العربي المعاصر بثلاثة أطوار:-

الطور الأول :

طور الاضمحلال و الضعف:

بدأ فيه الشعر هزيلاً ضعيفًا فى لغتة ، هشاً سطحياً في فكرته، ركيكًا ضعيفًا فى شكله ومضمونه .

ففي شكله وصياغته كان مثقلاً ينوء بألوان مختلفة من المحسنات اللفظية المتكلفة ، يقول د: شوقي ضيف : (اقرأ دواوين الشعراء الذين عاصروا محمد على وعباسًا الأول وسعيدًا من مثل إسماعيل الخشاب ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ محمد شهاب الدين ، فلن تجد سوى صور لفظية قد تدثرت بثياب غليظة من محسنات البديع ولن تجد شعورًا ولا عاطفة، لقد تبلدت الحياة ، فجمد الشعر والشعراء ولم يعد هناك إلاَّ التقليد .. فقد أصبح الشعر حسابًا وأرقامًا وتمارين هندسية عسيرة الحل).

الطور الثاني :

طور الانتقال من التقليد إلى التجديد

وذلك بعد ظهور عوامل النهضة وما أحدثته من تأثير في نفوس الأدباء والشعراء وفى عقولهم فضلا عن دور الطباعة وأثرها ، فقد طبعت كثير من دواوين الشعراء ومصادرالأدب التي ألفت في العصر العباسي **أمثال:**

كتب الجاحظ والجرجاني وابن المقفع والأمالي لأبي عليي القالي وغيرها ، فضلا عما عاد به المبعوثون بزاد ثقافي جديد من أوربا ، بعد أن اطلعوا على ألوان وأجناس من الأدب لم تكن معروفة في الأدب العربي، كالذي فعله (رفاعة الطهطاوي) المتوفى سنة 1873م وعائشة التيمورية التي توفيت سنة 1902م.

وفي هذا الطور لم يتخلص الشعراء والأدباء تمامًا من سمات الشعر الركيك المليء بالمحسنات والتخميسات والتشطيرات ، إنما تم التخلص رويدا رويدا .

فصرت تجد في أشعار بعض شعراء هذا الطور آثار تلك النهضة، ففي شعر الطهطاوي– وهو من شعراء هذه الفترة – تجد روح التجديد

ملموسة في الشكل والمضمون ، حيث كتب نوعا جديدا هو الشعر الوطني بمفهومه السياسي والحضاري ، يقول :

ولئن حلفت بأن مصر لجنة وقطوفها للفائزين دواني
والنيل كوثرها الشهي شرابه لأبركل البر في أيماني

الطور الثالث :

طور الازدهار و التجديد

وفيه تخلص الشعر تمامًا من قيود المحسنات البديعة وانتقل من الضعف والركاكة إلى المتانة والجزالة كما قال العقاد ، وظهر جيل جديد متحرر مبدع تبرز في شعره ثقافة العصر وملامح الرقي والتطوير ورأى أدباء هذا الطور أن التجديد يبدأ من العودة إلى الثقافة العربية الأصلية التي كانت المطبعة قد أخذت تقذف بها إلى القراء ، فقد طبعت دواوين الشعراء وكتب الأدب في المشرق وفى الأندلس فبرز في هذا الطور شعراء أفذاذ تميز شعرهم بالبيان الناصع والمحافظة على النمط العربي الأصيل الذي كان يمثله شعراء العربية الكبار أمثال المتنبي والبحتري والشريف الرضي وأبي تمام وابن زيدون وغيرهم،**ومن كبار شعراء هذا الطور :**

- الشيخ ناصيف اليازجي المتوفى سنة 1871م .

- وإبراهيم بن علي الأحدب المتوفي سنة 1891م فى لبنان .
- ومحمود سامي البارودي المتوفي سنة 1904م في مصر لقد عني هؤلاء الشعراء عناية خاصة بالتزام جزالة اللفظ ، ورقة المعنى ودقة التعبير ، وعذوبة الموسيقا .

وكان لكتاب "الوسيلة الأدبية" للشيخ (حسين بن أحمد المرصفي) توفى سنة 1889م أثر واضح في شعراء هذا الطور بما قدم للشعراء من نماذج شعرية رفيعة ، وبما تناول من شعر البارودي بالتحليل والإشادة ، فهيأ بذلك أذهان الشعراء للاتجاه المحافظ البياني الجديد الذي انتهجه الشاعر محمود سامي البارودي وبعث به الشعر العربي من رقدته في العصر السابق ورده إلى أصالته وروعته البيانية المشرقة، وحديث الشاعر عن نفسه وما يضطرب فيها من أحاسيس وخواطر وما تزخر به من تجارب ، وإلى الاهتمام بقضايا أمته ، وإلى ما يدور حوله.

سيطر الاتجاه المحافظ البياني على الحياة الأدبية في الوطن العربي كله سيطرة تامة ، وحظي بإقبال الشعراء وانتمائهم إليه لما فيه من رقي واعتزاز بأصالة الشعر ورده إلى عصور القوة والازدهار ، حتى إن الجيل الذي جاء بعد البارودي من أمثال: أحمد شوقي وحافظ إبراهيم

ومحمد عبد المطلب فى مصر ، وخليل مطران في الشام ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي فى العراق ساروا على طريقة البارودي ونهجه .

ثانياً : النثر :

أحدثت عوامل النهضة تأثيرها ، وآتت ثمارها وأكلهافي الشعر العربي وفي النثر شيئًا فشيئًا **وقد مرالنثر أيضا بمراحل ثلاث هي:**

المرحلة الأولى :

مرحلة الضعف والتخلف

ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر كان النثر من حيث الصياغة ضعيفًا تقليديًا يرسف فى أغلال السجع والجناس والطباق والتورية، وتغلفه الصنعة والتكلف.

وكانت الموضوعات تقليدية تدور حول الإخوانيات من تهنئة واعتذار ومدح ورثاء ولم يكن الكاتب يعبر عن مشاعره الخاصة ، ولا عما يجول في خاطره من عواطف وأحاسيس.

ومما أعان على حالة الضعف وتأصيلها أن الحكام الأتراك كانوا بعيدين عن اللغة العربية وآدابها لا يفهمونها ولا يتذوقونها ، بل

تعصبوا ضدها ، وفرضوا لغتهم فرضًا ومن نماذج النثر في هذه المرحلة رسالة وجهها الشيخ على أبو النصر المتوفى سنة1881م إلى أحد أصدقائه يقول:

(إن أبهى ما تسر به نفوس الأحبة ، وأبهج ما يستضاء بنوره في دياجي المحبة ، دون ما رسمه يراع المشوق ، وأبدعه مما يحسن ويروق ، تشوقاً إلى اقتطاف ثمرات المسامرة ، وتشوقًا إلى أبيات بمحاسن البديع عامرة) والنص – كما ترى – مكتظ بألوان البديع المتكلف .

المرحلة الثانية :

الانتقال من الضعف إلى القوة

عودة المبعوثين من أوربا ، وطباعة كتب التراث شعرًا ونثرًا ، ونشرها ، وإقبال الأدباء عليها ، كلها عوامل ساعدت النثر على التخلص من قيوده التي كبلته والنهوض من كبوته فظهرت آثار ذلك في كتابات بعض الأدباء ، ومن نماذج النثر في فترة الانتقال نموذج من كتابات عبد الله فكري **يقول:**

" لابد أن كل من عرف التمدن ، وشَمَّ عرف التفنن ، وأخذ بنصيب من الفهم والتفطن كان أحب شيء إليه ، وأحب أمر لديه أن

يكون مطلعًا على وقائع مصره، عارفًا بما تجدد بين بني عصره من حوادث الزمان ، وعجائب عالم الإمكان".

المرحلة الثالثة :

مرحلة الازدهار والتجديد

في هذه المرحلة استوى النثر على عوده وارتقى مدارج التجديد والازدهار ، فقد تخلص من أغلال الصنعة والتكلف ، وتنوعت موضوعاته وتعددت أغراضه ، ويرجع الفضل في ذلك إلى ظهور الصحافة والطباعة ؛ ذلك لأن الكتابة الصحفية تقتضي السهولة والتحرر من أثقال الصنعة إلاَّ ماجاء عفو الخاطر ، كالذي نجده في نثر الشيخ رفاعة الطهطاوي ، والشيخ محمد عبده والشيخ حسن العطار وأحمد فارس الشدياق.

البارودي

هو اللواء محمود سامي بن حسن حسين بـن عبـد الله البـارودي المصري شاعر مصري وهو أحد زعـماء الثـورة العرابيـة ، تـولى وزارة الحربية ثم رئاسة الوزراء باختيار الثوار له .

يعـده النقـاد ومؤرخـو الأدب رائـد مدرسـة الإحياءوالبعـث أو الاتجاه المحافظ البياني في الشعر العربي الحديث كما يسـميه الـبعض ، وباعث الشعر العربي من عصور الضعف إلى عصـر القـوة والأصـالة والإبداع ، فانتقل به من الجمود والركاكة والتقليد إلى جـودة الصـياغة وجزالة اللفظ ورقة المعنى ووضوح العبارة وجمـال الصـياغة وعذوبـة الموسيقا،فهو رائد الشعر العربي الحديث الذي جدّد في القصيدة العربية شكلاً ومضمونًا.

مولده ونشأته:

ولـد في 27 رجـب 1255 هـ/ 6 أكتـوبر 1839 م في مدينـة دمنهور البحيره لأبوين من أصـل شركسـي وكـان أجـداده ملتزمـي إقطاعية إيتاي البارود بمحافظة البحيرة والقائمين بجمع الضرائب من أهلها .

نشأ البارودي في أسرة ثرية ميسورة لها قدر من الجاه والسلطان، فأبوه كان ضابطا في الجيش المصري برتبة لواء وعُين مديرا لمدينتي بربر ودنقلة في السودان ومات هناك وكان محمود سامي حينئذ في السابعة من عمره . تلقى البارودي دروسه الأولى فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ النحو والصرف ودرس شيئا من الفقه والتاريخ والحساب ، حتى أتم دراسته الابتدائية عام 1267 هـ/ 1851م ، في مدرسة المبتديان وكانت خاصة بالأسر المرموقة وأبناء الطبقة العليا آنذاك ،كما أن والدته – كعادة أبناء الأكابر- قد جلبت له المعلمين لتعليمه في البيت ، ثم انضم وهو في الثانية عشرة من عمره إلى المدرسة الحربية سنة 1268 ه / 1852 م ، والتحق بالمرحلة التجهيزية من المدرسة الحربية وانتظم فيها يدرس فنون الحرب، وعلوم الدين واللغة والحساب والجبر .

شغف الشاب محمود سامي البارودي بالشعر العربي وكبار الشعراء منذ سن مبكرة حتى أتم دراسته وتخرج في المدرسة المفروزة عام 1855 م برتبة "باشجاويش" والتحق بالجيش السلطاني .

حياته العملية :

عمل بوزارة الخارجية وسافر إلى الأستانة عام 1857م وتمكن أثناء إقامته هناك من إتقان التركية والفارسية ومطالعة آدابهما وحفظ كثيرًا من أشعارهما وأعانته إجادته للغة التركية والفارسية على الالتحاق بقلم كتابة السر بنظارة الخارجية التركية وظل هناك نحو سبع سنوات ثم ألحق بحاشية الخديوي إسماعيل ، فعاد إلى مصر في فبراير 1863م ، عينه الخديوي إسماعيل معينًا لأحمد خيري باشا على إدارة المكاتبات بين مصر والأستانة العثمانية بمصر في حربها ضد روسيا ورومانيا وبلغاريا والصرب ، كان البارودي ضمن قادة الحملة الضخمة التي بعثتها مصر ونزلت الحملة في "وارنة" أحد ثغور البحر الأسود وحاربت في أوكرانيا ببسالة وشجاعة ، غير أن الهزيمة لحقت بالعثمانيين وألجأتهم إلى عقد معاهدة "سان استفانوا" في مارس 1878م ، وعادت الحملة إلى مصر وكان الإنعام على البارودي برتبة "اللواء" والوسام المجيدي من الدرجة الثالثة ونيشان الشرف ؛ لِمَا قدمه من ضروب الشجاعة وألوان البطولة .

شارك مع أحمد عرابي في ثـورة 1881 م ضـد الخـديوي توفيـق ، وكان أحد أبطالها، وقد أسندت إليه رئاسة الوزارة الوطنية في 4 فبرايـر 1882 م حتى 26 مـايو 1882م ، بعـد سلسـلة مـن أعـمال الكفـاح والنضال ضد فساد الحكـم وضـد الاحـتلال الإنجليـزي لمصـر عـام 1882م وقررت السلطات الحاكمة نفيـه مـع زعـماء الثـورة العرابيـة في 3 ديسمبر عام 1882 إلى جزيرة سرنديب (سريلانكـا) ، ليقضـي في منفاه سبعة عشر عاما ، ضعف خلالها بصره ، حتى أفرج عنـه وعـاد بعدها إلى مصر ليقضي بقية أيامه حتى وفاته .

حياته في المنفى :

ظل في المنفى بمدينة كولومبو أكثر من سـبعة عشر ـ عامـاً يعـاني الوحدة والمرض والغربة عن وطنه ، فسجّل كل ذلك في شـعره النـابع من ألمه وحنينه وفي المنفى شغل البارودي نفسه بتعلم الإنجليزيـة حتـى أتقنها وانصرف إلى تعليم أهل الجزيرة اللغة العربية ليعرفوا لغة ديـنهم الحنيف وإلى اعتلاء المنابر في مساجد المدينة ليُفقّه أهلها شعائر الإسلام وطوال هذه الفترة قال **قصـائده** الخالـدة ، التـي يسـكب فيهـا آلامـه وحنينه إلى الوطن ويرثي من مات من أهله وأحبابه وأصدقائه ويتـذكر أيام شبابه ولهوه وما آل إليه حالـه ،ومضـت بـه أيامـه في المنفـى ثقيلـة

واجتمعت عليه علل الأمراض وفقدان الأهـل والأحبـاب ، فسـاءت صحته ، بعد أن بلغ السـتين مـن عمـره اشـتدت عليـه وطـأة المـرض وضعف بصره فقرر عودته إلى وطنه مصر للعلاج ، فعاد إلى مصر يـوم 12 سبتمبر 1899م وكانت فرحته غامرة بعودتـه إلى الـوطن وأنشـد أنشودة العودة التي قال في مستهلها :

أبابلُ رأي العين أم هذه مصرُ فإني أرى فيها عيونًا هي السحرُ

وفاته:

بعد عودته إلى القاهرة ترك العمل السياسي وفـتح بيتـه للأدبـاء والشعراء ، يستمع إليهم ويسـمعون منـه وكـان عـلى رأسـهم شـوقي وحافظ ومطران وإسماعيل صبري وقد تأثروا به ونسجوا على منوالـه ، فخطوا بالشعر خطوات واسـعة وأُطلـق علـيهم "مدرسـة النهضـة" أو "مدرسة الإحياء والبعث" أو الاتجاه المحافظ الباني، توفي البارودي في 12 ديسمبر 1904م بعد سلسلة مـن الكفـاح والنضـال مـن أجـل استقلال مصر وحريتها وعزتها .

من آثاره :

ترك البارودي للمكتبة العربية تراثا ثمينـا ضـخما اسـتفادت منـه الأجيال من بعده ، فقد ترك لنا:

- ديوان شعر في جزئين- مجموعات شعرية سُميّت مختارات البارودي، جمع فيها مقتطفات لثلاثين شاعرا من الشعر العبّاسي.
- مختارات من النثر تُسمّى قيد الأوابد.
- نظم البارودي مطولة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، تقع في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا وقد جارى فيها قصيدة البوصيري البردة ، قافية ووزنا وسماها ، كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة ومطلعها :
- يا رائد البرق يمّم دارة العلم واحْد الغَمام إلى حي بذي سلم

مؤلفات عن محمود سامي البارودي :

- البارودي حياته وشعره، نفوسة زكريا القاهرة 1992.
- مختارات من شعر محمود سامي البارودي السماح عبد الله ، مكتبة الأسرة ، القاهرة 2005. - محمود سامي البارودي شاعر النهضة ، علي الحديدي- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة 1969.
- البارودي رائد الشعر الحديث شوقي ضيف- دار المعارف - القاهرة 1988م.
- شعراء النهضة العربية ، الشاعرمحمود سامي البارودي ، تأليف السيد فالح الحجية / بناء الجملة في شعر البارودي ،إسماعيل مزهر - رسالة ماجستير، 2010م.

قراءة نصية

قصيدة (وداع وطن)

1

محا البينُ ما أبقتْ عيون المها مني ... فشِبتُ ولم أقضِ اللُّبانة من سني
عنـــاءٌ ويـــأسٌ واشـــتياقٌ وغربـــةٌ ... ألا ، شدَّ ما ألقاه في الدهر من غبنِ
فإن أكُ فارقتُ الديار فلي بها ... فُؤادٌ أضلتْهُ عيون المها مِني
بعثتُ به يوم النوى إثرَ لَحْظَـــةٍ ... فأوقعه المِقدارُ في شَرَكِ الحُسنِ
فهل من فتى في الدهر يجمع بيننـــا ... فليس كِلانا عن أخيه بمستغنِ

****

2

ولما وقفنا لِلوَدَاع ، وأسبَلتْ ... مدامعنا فوق الترائـــب كـــالمزن
أهبتُ بصبري أن يعودَ ، فعزني ... ونـاديت حلمي أن يثوب فلم يُغنِ
ولمْ تَمضِ إلا خَطْرَةٌ ، ثم أقلعت ... بنا عن شطوط الحي أجنِحةُ السُّفنِ
فكم مُهجةٍ من زَفرَةِ الوجدِ في لظى ... وكم مُقلَةٍ مِنْ غزرة الدمع في دَجْـــنِ
وما كنتُ جربتُ النوى قبل هذه ... فلما دهتني كِدتُ أقضي من الحزن
ولكنني راجعت حلمي وردني ... إلى الحزم رأيٌّ لا يحوم على أفـــن
ولولا بنيّات وشيبٌ عواطلٌ ... لما قرعت نفسي على فائت سنّ

فيا قلب صبراً إن جزعت فربما جرت سنحا طيرُ الحوادث باليمن
فقد تورق الأغصان بعد ذبولها ويبدو ضياءُ البدر في ظلمة الوهن

****

3

وأيُّ حسام لم تصبه كلالـــة ولهذم رمح لا يفل من الطعــن
ومن شاغب الأيام لان مريره وأسلمه طولُ المراس إلى الوهن
وما المرء في دنياه إلا كسالك مناهج لا تخلو من السهل والحزن
فإن تكن الدنيا تولّت بخيرها فأهون بدنيا لا تدوم علـــى فــن

****

4

يرى بصري من لا أود لقاءه وتسمع أذني ما تعاف من اللحن
تحملت خوف المن كل زريئة وحمل زرايا الدهر أحلى من المن
وعاشرت أخداناً فلما بلوتهم تمنَّيت أن أبقى وحيداً بلا خدن
إذا عرف المرء القلوب وما انطوت عليه من البغضاء عاش على ضغن
فكيف مقامي بين أرض أرى بها من الظلم ما أخنى على الدار والسكن
فسمع أنين الجور قد شاك مسمعي ورؤية وجه الغدر حل عــرا جفنـــي

وصعب على ذي اللب رئمان ذلة يظل بها في قومه واهي المـــتن

وماقلت إلا بعد علم أجدَّ لـــي يقينا نفى عني مراجعـــة الظـــن

فقد ذقت طعم الدهر حتى لفظته وعاشرت حتى قلت لابن أبي دعنـــي

ولولا أخ أحمدت في الود عهده على حدثان الدهر ماكنت أستثني

ورب بعيد الدار بصفيك وده ومقترب يجني عليك ولم تجـــن

فذاك أخ لولاه أنكرت كل مـــا سمعت به عن أحنف الحلم أومعن

فإن لم أصرح باسمه خوف حاســـد ينم عليه فهو يعلم مـــن أعنـــي

على أن ذكراه وإن كان نائيا سمير فؤادي في الإقامة والظعن

أنوح لبعدي عنه حزنا ولوعة كما ناح شوقا جميل على بـــثن

فمن لي به خلا كريما نجاره فقد سئمت نفسي معاشرة الهجن

لعل يد الأيام تســـخو بلقيـــة أراه بها بعد الكـــزازة والضـــن

وإني وإن طال المطال لواثق برحمة ربي فهو ذو الطول والمن

****

المفردات :

- اللبانة : الحاجة
- غبن : ظلم
- عزني : لم يطاوعني
- الترائب : أعالي الصدور إلى النحور
- الدجن : المطر الكثير
- أفن : نقصان في العقل
- قرعت : ندمت
- الوهن : منتصف الليل
- كهامة : كلل وضعف
- لهذم رمح : سنان الرمح
- يفل : تنكسر أسنانه
- الحَزْن : من الأرض ، الصعب التي يتعب المرء من السير فيها ، والجمع : حزون
- لاتدوم على فن : لاتدوم على حال
- الأخدان : الأصدقاء

- بلوتهم : عاشرتهم
- الضغن : بكسر العين تعني : الغيظ
- رئمان ذلة : الرضا بالمذلة
- أحنف ومعن : أحنف بن قيس ، ومعن بن زائدة ، وهما ممن عرفوا بالحلم وسعة الصدر ورجاحة العقل .
- الهجن : جمع هجين ، وهو مااختلط في نسبه ويرمز به هنا في القبح والرذالة.
- كزازة يد الأيام : ضنها وبخلها .
- المطال : التأجيل والتسويف .

مناسبة النص

حكم على الشاعر بالنفي إلى جزيرة سرنيب في أقصى- جنوب الهند مع الزعيم أحمد عرابي ونفر من رفاقه الضباط الذين شاركوا في الثورة على ظلم الخديوي توفيق ، تلك الثورة التي لم تكلل بالنجاح وقبض على الثائرين وعقدت لهم محكمة صورية صودرت على إثرها ممتلكاتهم وأقلتهم السفينة مبحرة إلى حيث منفاهم بعيدا عن وطنهم الغالي مصر .

وقد كتب الشاعر هذه القصيدة يبث من خلال أبياتها لوعة الفقد ومرارة ماوقع عليه من غبن وماتعرض له من غدر وخيانة .

البناء الفكري:

يبدأ الشاعر قصيدته في جزئها الأول بداية غزلية على غرارشعراء العربية القدامى وقدقلنا آنفا أن الشاعر يترسم خطى فحول الشعراء نهوضا بالقصيد برده إلى عهوده الزاهرة في زمن الجاهلين والعباسيين ؛ فالبين قد غطى على الشاعر حتى أزال من مخيلته مافعلته عيون محبوبته الجميلة التي تشبه عيون المها ، فشاب شعر رأسه ولما يزل في ريعان الصبا والشباب وهو يفارق الديار تاركا بها قلبا محبا أوقعته عيون المها

في شراك حسنها ، وهو إذ يفارق الوطن فقد ترك أخا صديقا عزيزا له ؛ لذا يتسائل متمنيا :

(هل من فتى يجمع الدهر بيننا
فليس كلانا عن أخيه بمستغن).

وفي الجزء الثاني:

يصور الشاعر لحظة فراق الوطن فالدموع منهلة تسيل على صدره، وهو يهيب بصبره أن يعود إليه فلم يطاوعه ، ونادى على حلمه وتجلده أن يعود إليه فلم يغنه شيئا ، وماهي إلا لحظات وتقلع السفينة مخلفة وراءها وطنه الغالي، وهاهو يلاقي العنت والعناء والشوق والغربة ، ولم يكن الشاعر قد جرب النوى قبل هذه التجربة فلما حلت به داهية الفراق كاد يقضي عليه الحزن والأسى ، وفي غمرة الأسى يراجع نفسه فيرده الحزم إلى الصواب مشيرا إلى تجلده رغم ماحدث، ويبين أنه لولا أسرته التي تضم بنيات وشيب كبار السن لما حزن ولما استبد به الأسى؛ لذا ينادي قلبه طالبا منه الصبر والتجلد فربما ينصلح الحال وتجري الطير سانحة تبشر بالخير واليمن ، وقد تعود الأغصان خضراء مورقة بعد أن كانت ذابلة جافة ، ويطلع البدر منيرًا في ظلمة الليل الدامس.

وفي الجزء الثالث:

يعزي الشاعر نفسه بأن ما أصابه ليس بغريب فكل سيف يكل ويتعب من طول الضراب وكل رمح تضعف سنانه من طول الطعن والنزال ، وإن من عايش الأيام ونازلها تلين قناته ويسلمه طول التعامل معها إلى الضعف والفتور .

وفي إطار تعزية الشاعر يلجأ إلى الحكمة وهو أمر اعتاد عليه فيقول لنا : إن المرء في هذه الدنيا كالسائر في الطريق يجد فيها السهل الميسر والصعب الذي يعوق السير :

وما المرء في دنياه إلاكسالك مناهج لا تخلو من السهل والحزن

ويصل الشاعر بتعزية نفسه مداها مبينا أن الدنيا وإن تكن ذهبت بما تحمل من خير فماأهون دنيا لاتدوم على حال واحد .

وفي الجزء الرابع والأخير من النص يبين الشاعر ما ألم به من الغبن وما قابل من مواقف صعبة ، وما واجه من أناس متقلبين ومخادعين تخلو عنه ، فهو يرى أناسا لايود لقاءهم لما فيهم من سوء، كما أن فيهم من يمن عليه بما يقدم من مساعدة وهو الأمر الذي يكرهه الشاعر ويحذر منه ، حتى أنه من هول مارأى منهم تمنى أن يعيش وحيدا بغير صاحب ، ويبين أنه من الصعب عليه ومالايقبله أن يقيم في أرض يلاقي فيها من الظلم مايغطي على داره ومكان إقامته

ومن الصعب عليه أن يعيش ذليلا ضعيفا مهيض الجناح ، ومـن طـول مالاقى من العنت والضيم كاد أن يقول لأخيه من أمه وأبيه : دعني.

وفي ظل هذا الجو الملبد بسحائب الظلـم وريـاح الغـدر والخيانـة والتقلـب يرسـم لنـا صـورة أخ لـه وفي العهـد يفـوق في حلمـه حلـم الأحنف بن قيس ومعن بن زائده ، وهـو لايصـرح باسـمه مبينـا أنـه يعرف نفسه ، فهو في البعد سمير فؤاده لاينفك يذكره وينوح حزنا على بعده عنه واشتياقا إليه كما ناح جميل بـن معمـر حزنـا عـلى بثينـة ؛ لـذا يتمنى أن يجود الدهر له بخل وفي مثل هذا الـذي فارقـه وابتعـد عنـه ، لأنه سئم من هؤلاء السيئين المخادعين ، وهو واثـق مـن رحمـة ربـه بـه ولاينسى الشاعر أن يتوج فكرته بالحكمة التي تصب في جانب الفكـرة وتدعمها ، يقول:

يرى بصري من لا أود لقاءه وتسمع أذني ما تعاف من اللحن
فسمع أنين الجور قد شاك مسمعي ورؤية وجه الغدر حل عـرا جفنـي
وصعب على ذي اللب رئمان ذلة يظل بها في قومه واهي المـتن
ورب بعيد الدار بصفيك وده ومقترب يجني عليك ولم تجـن
لعل يد الأيام تسخو بلقيـة أراه بها بعد الكـزازة والضـن
وإني وإن طال المطال لواثق برحمة ربي فهو ذو الطول والمن

****

البناء اللغوي الجمالي

في النص كثير من مظاهر الجمال والمحسنات البديعية غير المتكلفة والأساليب الخبرية والإنشائية منها :

- افتتاح النص باستخدام الفعل الماضي في قوله (محا البين) افتتاح موفق يدلنا على مدى تحقق وقوع كارثة البين ، وماترتب عليها من مشيب رأس الشاعر في قوله : فشبت ولم أقض اللبانة من سني ، ومعلوم أن التعبير بالفعل الماضي يدل على تأكيد وقوع الشيء وإثباته .
- والتعبير بالمصدر – الذي هو أصل الاشتقاق – في قوله : عناء ويأس واشتياق وغربة يدل على فداحة ماترتب على كارثة البين والابتعاد عن الوطن مصر .

ثم انظر إلى تتابع الصور الجماليةالتي تعمق أبعاد حزن الشاعر في قوله :

(وأسبَلَتْ مدامعنا فوق الترائب كالمزن) وهو تشبيه يبن غزارة الدموع التي ذرفها الشاعر حال مفارقة الأهل والأحبة .

(أهبتُ بصبري أن يعودَ ، فعزني) استعارة مكنية تبرز يأس الشاعر وتخلى صبره عنه وهو الفارس الذي عرف بالصبر والتجلد .

(وناديت حلمي أن يثوب فلم يُغنِ) استعارة مكنية شخص فيها البين وصيره إنسانا وراح يناديه ويتشبث به دون جدوى ، والخيال هنا يؤكد ماحل بالشاعر وعصف بكيانه . ولك أن تتخيل امرءا تخلى عنه صبره وثباته وتجلده وهو في محنة ماذا يفعل ؟

(أقلعت بنا عن شطوط الحي أجنِحةُ السُّفْنِ) استعارة مكنية فيها تجسيم جعل السفينة طائرا ذي أجنحة يحلق بالشاعر بعيدا إلى حيث الأحزان والآلام في غربة ليس فيها أنيس أوجليس .

وانظر إلى وجود كم الخبرية وماتدل عليه من كثرة في قوله :

(فكم مُهجةٍ من زَفرَةِ الوجدِ في لظى) (وكم مُقلَةٍ مِنْ غزرة الدمع في دَجْنِ)

وهذه الكناية التي تدل على فداحة ماألم بالشاعر (كدت أقضي من الحزن)

والشاعر لم يعدم الوسيلة فقد راجع حزمه وحلمه وسعة صدره فأعادوا إليه ثباته واتخذ من التصوير الاستعاري وسيلة لإظهار ذلك في قوله :(راجعت حلمي) ،

وقوله : (ردني إلى الحزم رأي لايحوم على أفن)

وفي محاولة من الشاعر للثبات في مواجهة الكارثة وهـو الفـارس الثبوت في مثل تلك المواقف نراه ينادي قلبه راجيا منه الصبر في قولـه : (فياقلب صبرا) ، ولأن عاقبة الصبر خير فقد بين ذلك في قوله :

(جرت سنحا طيرُ الحوادث باليمن) (تورق الأغصـان بعـد ذبولهـا)

(ويبدو ضياءُ البدر في ظلمة الوهن) وكلهـا كنايـات تـدل عـلى تغير الحال وتبدل الأمور إلى الأفضل .

وفي لجوء الشاعر إلى الحكمة وتضمينها في قصـيدته مايؤكـد أنـه يصبر نفسه ويسري عنها ماحاق بها في قوله :

(وأيُّ حسام لم تصبه كلالة ، وأي ولهذم رمح لا يفل من الطعن) وهي حكمة في صيغة استفهام تفيد النفي فلا حسام وجـد دون أن يلـم به الضعف والكلل ،وليس هناك رمح لم تضـعف سـنانه وتعجـز عـن الطعن ويلخص القول كله في هوان الدنيا وكونهـا لاتـدوم عـلى حـال (فأهون بدنيا لا تدوم على فن) ..

- وفي تصور جمالي را ئع استخدم الأسلوب الخـبري الـذي يفيـد اليقين والتأكيد ليبين ألوان الظلم التي تعرض لها ، ومنها :

- رؤيته من لايود لقاءه من الختالين المخادعين (يرى بصـري مـن لاأود لقاءه) .

- سماعه اللحن في القول والخطأ الذي تعافه النفس تنفر منه (وتسمع أذني ما تعاف من اللحن)

- تحمله الرزايا خشية مماسمع من منٍّ وتفضل ممقوت (تحملت خوف المن كل رزيئة)- مالقيه من سوء من أناس تعامل معهم مما جعله يتمنى العيش وحيدا :

وعاشرت أخداناً فلما بلوتهم تمنَّيت أن أبقى وحيداً بلا خدن

- عدم احتماله المقام في مكان يغلفه الظلم :

فكيف مقامي بين أرض أرى بها من الظلم مأأخنى على الدار والسكن

وقد جاء التعبير عن هذا المعنى بصيغةاستفهام يدل على النفي والاستبعاد ، فهو كفارس يأبى الضيم من المستحيل أن يعيش في هذا الجو المفعم بالظلم .

وانظر إلى الصور الجمالية المتتابعة الدالة على كراهته الظلم :

(فسمع أنين الجور قد شاك مسمعي) ورؤية وجه الغدر حل عرا جفني)

(ذقت طعم الدهر حتى لفظته)

وكلها استعارات مكنية تجسم الظلم في صورة كائن حي يئن ، وله وجه قبيح تعافه النفس وتكرهه ، كما جعله طعاما لايستسيغه ولايحب طعمه لأن النفس تلفظه وتمجه .

وفي ظل هذا الجو القاتم يتذكر أخا له عطوفا حدبا وقف بجانبه في محنته ، ولم يتخل عنه وانظر الصورة التي رسم أبعادها لهذا الصديق الوفي من خلال عباراته وصوره :

ولولا أخ أحمدت في الود عهده على حدثان الدهر ماكنت أستثني

فلولا وجود هذا الصديق الوفي لكره الناس جميعا دون استثناء ، ثم يؤكد هذا القول بما أورده من حكمة في البيت الذي يليه في قوله :

ورب بعيد الدار يصفيك وده ومقترب يجني عليك ولم تجن

وانظر إلى هذه المبالغة المقبولة التي يفضل فيها مايتمتع به صديقه من حلم ومروءة على أحنف بن قيس ومعن بن زائدة وما لهما من سبق مروءة وحلم، **يقول** :

فذاك أخ لولاه أنكرت كل ما سمعت به عن أحنف الحلم أومعن

وانظر إلى الكناية الجميلة في عدم التصريح باسمه ، وذاك لخوفه عليه من الحسد (لم أصرح باسمه خوف حاسد) .

ولقد آلمه فقد هذا الصديق ويصور لك في تشبيه رائع :

أنوح لبعدي عنه حزنا ولوعة كما ناح شوقا جميل على بثن

ويختتم الشاعر قصيدته بأمل وثقة :

- أمل ورجاء في لقاء صديقه الوفي وذلـك في تصـوير اسـتعاري جعل فيها الأيك رجلا كريما يجود ويسخو :

لعل يد الأيام تســخو بلقيــة أراه بها بعد الكــزازة والضــن

وثقة في رحمة ربــه ولطفــه بعبــاده فهــو صــاحب الطول والمن :

وإني وإن طال المطال لواثــق برحمة ربي فهو ذو الطول والمن

****

قال وهو في سرنديب

لبيك ياداعى الاشواق من داعى

1

لَبَّيْكَ يا دَاعِيَ الأَشْواق مِنْ داعي ... أَسْمَعْتَ قَلْبِي وَإِنْ أَخْطَأْتَ أَسْمَاعِي

مُرنِى بِما شئتَ أبلُغْ كلَّ ما وَصَلَتْ ... يَدِي إِلَيْهِ، فَإِنِّي سَامِعٌ وَاعِـي

فلا وربِّكَ ما أُصغِى إلى عَـذَلٍ ... وَلاَ أُبِيحُ حِمَى قَلْبِـي لِخَـدَّاعِ

إِنِّي امْرُؤٌ لاَ يَرُدُّ الْعَذْلُ بَادِرَتِي ... وَلاَ تَفُلُّ شَبَاةُ الْخَطْبِ إِزْمَاعِي

أجرى عَلى شِيمةٍ فى الحُبِّ صـادِقةٍ ... لَيْسَتْ تَهُمُّ إِذَا رِيعَـتْ بِـإِقْلاَعِ

لِلْحُبِّ مِنْ مُهْجَتِي كَهْفٌ يَلُوذُ بِهِ ... مِن غَدرِ كلِّ امرئٍ بالشرِّ وقَّاعِ

بَذَلتُ فى الحبِّ نَفسى وهى غاليـةٌ ... لِبَاخِلٍ بِصَـفَاءِ الْـوُدِّ منَّـاعِ

أَشكُو إِلَيهِ، وَلاَ يُصْغِي لِمَعْذِرَتِي ... مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَتْهُ النَّفْسُ أَوْ دَاعِي

وَيْلاَهُ مِنْ حَاجَةٍ فِي النَّفْسِ هَامَ بِهَا ... قَلْبِي، وَقَصَّرَ عَنْ إِدْرَاكِهَا بَاعِي

أسعى لَها وهى مِنِّى غيرُ دانِيةٍ ... وكيفَ يَبلغُ شأوَ الكوكبِ الساعِى؟

****

2

يا حبَّذا جُرعَةٌ مِن ماءِ مَحنيــةٍ وَضَجْعَةٌ فَوْقَ بَرْدِ الرَّمْلِ بِالْقَاعِ!
وَنَسْمَةٌ كَشَمِيمِ الْخُلْدِ قَدْ حَمَلَتْ رَيَّا الأَرَاهِيرِ مِنْ مِيثٍ وَأَجْــرَاعِ
يا هَل أرانِى بِذاكَ الحىِّ مُجتَمِعاً بأهلِ وُدِّى من قومى وأشياعِى ؟
وهَل أسوقُ جَوادِى لِلطرادِ إلى صَيْدِ الْجَآذِرِ فِي خَضْرَاءَ مِمْرَاعِ؟
مَنَازِلٌ كُنْتُ منْهَا فِي بُلَهْنِيَةٍ مُمَتَّعاً بَــيْنَ غِلْمَــانِي وَأَتْبَــاعِي
إِذَا أَشَرْتُ لَهُمْ فِي حَاجَةٍ بَدَرُوا قَضَاءَهَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَــدَّ إِلْمَــاعِي
يَخْشَى الْبَلِيغُ لِسَانِي قَبْلَ بَادِرَتِي وَيُرعَدُ الجيشُ باسمِى قَبلَ إيقاعِى
فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لاَ سَهْمِي بِذِي صَرَدٍ إِذَا رَمَيْتُ، وَلاَ سَــيْفِي بِقَطَّــاعِ

****

3

أَبيتُ فِي قُنَّةٍ قَنْوَاءَ قَدْ بَلَغَتْ هامَ السِـماكِ، وفاتَتـهُ بِـأبواعِ
يَستقبِلُ المُزنَ ليتيها بِوابِلِـهِ وتصدِم الرِيحُ جَنبيها بِزعـزاعِ
يَظَلُّ شِمْرَاخُهَا يَبْساً، وَأَسْفَلُهَا مكلَّلاً بالنَدى يَرعى بهِ الراعِـى
إِذَا الْبُرُوقُ ازْمهرَّتْ خِلْتَ ذِرْوَتَهَا شَهماً تدرَّعَ مـن تبـرٍ بِـأدراعِ
تَكَادُ تَلْمِسُ منْهَا الشَّمْسَ دَانِيَةً وَتَحْبِسُ البَدْرَ عَنْ سَيْرٍ وَإِقْـلاَعِ
أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَئِساً نابِى المضاجعِ من همٍّ وأوجـاعِ
لا فى "سرنديبَ" خِلٌّ أستعينُ بهِ عَلَى الْهُمُومِ إِذَا هَاجَتْ، وَلاَ رَاعِي
يَظُنُّنى من يرانِى ضاحِكاً جَذِلاً أنِّى خَلِىٌّ، وهَمِّى بينَ أضـلاعِى
ولا، وربِّكَ ما وَجدِى بِمندرِسٍ على البِعادِ ولا صَبرِى بِمِطـواعِ

****

4

لَكنّنِى مالِكٌ حَزمِى، ومُنتَظِــرٌ أَمْراً مِنَ اللَّهِ يَشفِي برْحَ أَوْجَاعِي
أَكُفُّ غَرْبَ دُمُوعِي وَهْيَ جَارِيَةٌ خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جِدُّ مُلْتَــاعِ
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي، وَغَــادَرَنِي رَهْنَ الأَسَى بَيْنَ جَدْبٍ بَعْــدَ إِمْــرَاعِ
فَإِنَّ فى مِصرَ إخواناً يَسرُّهمُ قُرْبِي، وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِي

****

المفردات

- شباة: حد السيف القاطع .
- شأو : مرتبة سامية.
- ماء محنية:منعطف الوادي .
- ميث: أرض خصبة طيبة .
- أجراع:أرض رملية .
- الطراد: الصيد ومطاردته .
- الجآذر: أولاد البقرالوحشي ، مفردها جؤذر.
- خضراء ممراع:أرض ذات نباتات.
- بلهنية: سعة العيش وهناؤه .
- إلماعي: اللمعة من البصر .
- إيقاعي : وقع خطواته أو حسه .
- صرد:يرمي السهم ويصيب به هدفه .
- قنة قنواء:أعلى الجبل وقمته الشماء .
- السماك: نجم نير .
- أبواع: بعيد ، شديد الارتفاع في السماء .
- الليتان: صفحتا العنق .

- زعزاع :العاصفة .
- ازمهرت:لمعت .
- تدرع: لبس الدرع .
- تبر: الذهب .
- نابية : مقلقة بعيدة .
- مندرس: مخرب .
- إمراع : خصوبة المكان وفرة مرعاه .

مناسبة النص :

البارودي شاعرنا مرهف الحس جزل العبارة رجل حرب وسياسة، شارك في ثورة عرابي ثم في مناهضة الاحتلال البريطاني فكان جزاؤه النفي إلى جزيرة سرنديب مدة سبعة عشر عاما تاركا أهله بمصر العزيزة، وفي منفاه كتب أجمل قصائده عن الغربة والشوق والحنين ، وفي هذا السياق تندرج القصيدة ،إذ كتب هذه الأبيات يبث من خلالها لواعجه وأشواقه التي عصفت به وهوبعيد عن أهله وذويه يعيش فردا بعد أن صودرت أملاكه وسلب الجاه والمنزلة والصحب والأهل ، ولم يبق له إلا حفنة من ذكريات كانت له في وطنه مصر يجترها بين الحين والحين ليسري عن نفسه ويمنيها بأمل العودة إلى وطنه الغالي .

البناء الفكري

أقام البارودي بناء قصيدته الفكري وشيده في أربعة أجزاء ، وصاغ الجزء الأول منها في قالب غزلي وفقا لعمود الشعر العربي الذي اتبعه الشعراء العرب القدامي في عصور الازدهار والتألق ، ومن ثم افتتح قصيده بمناجاة داعي الشوق مبينا أنه طوع أمره ، وأنه لايسمع لمن يلوم ويعزل ، ولاينقاد لكلام امرىء متقلب مخادع ، وانه قوي

صلب في مواجهة الخطوب وأحداث الدهر يجري على نهج واضح من الوفاء ، ويقول متغزلا في فتاته التي تضن بحبها عليه وقد بذل في سبيل حبها كل ماتريد وله حاجة في النفس دونها ملامسة النجوم .

وفي الجزء الثاني من النص تعاود الذكريات شاعرنا فيحن إلى وطنه متمنيا جرعة من مائه العذب أو نسمة محملة بروائح الزهر في أرض وطنه الخصبة ، ويحن إلى لقيا الأهل والأصدقاء من قومه وأشياعه ويتساءل هل يعود به الزمن ويرجع لوطنه وتعود رحلات الصيد والقنص التي كان يقوم بها ممتطيا صهوة جواده المطهم ، ومتمنيا أن تعود تلك الأيام بما كان له فيها من سطوة يطلب فيجاب طلبه ويأتمر الجند بأمره ، ويقول في مرارة وهأنذا في غربتي ومنفاي مهيض الجناح لاسهمه مصيب هدفه ، ولاسيفه بقطاع كما كان.

ويصور الشاعر بكل أسى ومرارة منزله في منفاه ويرسم أبعاد المكان الذي يؤيه أقصد السجن الذي يعيش فيه ،فهو يقيم في أعلى قمة جبل في مكان ضيق موحش ترى منه السحاب وتعصف به الريح من كل جانب ، تكاد تلمس الشمس ، وتجالس البدر في هذه القمةالشاهقة هنا حيث هذا المأوى الموحش يقضي الشاعر أيام منفاه وحيدا بغير رفيق أو صديق يستعين به على همومه التي تلازمه ولاتفارقه ، يظن من يراه

أنه ضاحك جزل ، وحقيقة الأمر أنه يقيم على الألم والمعاناة ، لاشوقه بمنقطع ولا الصبر يطاوعه .

والشاعر مع مابه من ألم متجلد يملك حزمه ، يعيش منتظرا أمرًا من الله وفرجا منه يبرىء جسده ونفسه مما يلاقي من ألم النوى ، وهو يحاول جاهدا أن يكفكف دموعه المدرارة خوف الشامت والرقيب وقلبه ينفطر من وجع الجوى ، ومع ذلك يجد الشاعر مندوحة له في أهله في مصر الذين يتمنون لقاءه ويعجبون بشعره ومايأتي به من بديع القصيد ورائعه .

البناء اللغوي الجمالي

يفتتح الشاعر قصيدته ملبيا مناديًا في قوله : (لبيك ياداعي الأشواق) والنداء هنا للتنبيه وجذب الأنظار .

والأمر في قوله:مرني غرضه الالتماس والاستعطاف ، وإظهار الخضوع لداعي الأشواق .

وبقية الأساليب في الجزء الأول خبرية ، ماعدا الاستفهام في آخر الجزء ، وأساليب الخبر :

مـــا أُصـــغِي إلـــى عَـــذَلٍ وَلاَ أُبِيحُ حِمـــى قَلْبِـــي لِخَـــدَّاعِ
إِنِّي امرُؤٌ لاَ يَرُدُّ الْعَذْلُ بَادِرَتِي وَلاَ تَفُلُّ شَبَاةُ الْخَطبِ إِزْمَـــاعِي

أجرِى عَلى شِيمةٍ فى الحُبِّ صادِقة لِلْحُبِّ مِنْ مُهْجَتِي كَهْفٌ يَلُوذُ بِهِ

بَذَلتُ فى الحبِّ نَفسى وهى غالية ٌ

كلها أساليب تفيد الافتخار والاعتزاز بالنفس وتدل على سمو أخلاق الشاعر وتمتعه بعفة النفس وكرمها .

وفي قوله :

أسعى لَها وهىَ منِّى غيرُ دانِية وكيفَ يَبلغُ شأوَ الكوكبِ الساعِى ؟

- استفهام غرضه النفي والاستبعاد .
- (مهجتي كهف للحب) ، تشبيه بليغ يفيد رقة الشاعر وعلو نفسه.
- (بَذَلتُ فى الحبِّ نَفسى وهى غالية) استعارة مكنية فيها تجسيم يدل على مشاعر البارودي النبيلة.

وفي قوله :

يا حبَّذا جُرعَةٌ من ماءِ مَحنيةٍ وَضَجْعَة ٌ فَوْقَ بَرْدِ الرَّمْلِ بِالْقَاعِ!

وَنَسْمَةٌ كَشَمِيمِ الْخُلْدِ قَدْ حَمَلتْ رَيَّا الأَزَاهِيرِ مِنْ مِيثٍ وَأَجْرَاعِ

- نداء الغرض منه التمني .
- (نسمة كشميم الخلد) تشبيه يبرز مدى جمال ورقة النسيم في وطنه .

- والنداء والاستفهام في قوله :

يا هَل أرانِى بِذاكَ الحىِّ مُجتَمِعاً بأهلِ وُدِّى من قومى وأشياعِى ؟

- الغرض منه الطلب والتمني

- وكذلك الاستفهام في قوله :

وهل أسوقُ جوادِى لِلطرادِ إلى صَيْدٍ الْجَآذِرِ فِي خَضْرَاءَ مِمْرَاعِ؟

- الغرض منه التمني .

إِذَا أَشَرْتُ لَهُمْ فِي حَاجَةٍ بدَرُوا قَضَاءَهَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلْمَاعِي

- كناية عن زعامته وعلو منزلته في قومه ، وأنه الرئيس ؛يأمر فيطاع أمره .

- (يَخْشَى الْبَلِيغُ لِسَانِي) كناية عن فصاحته وتمكنه ، وامتلاكه ناصية القول .

- (ويُرعَدُ الجيشُ باسمِى قَبلَ إيقاعِى) كناية عن بأسه وقوته وشجاعته

- (لاَ سَهْمِي بِذِي صَرَد إِذَا رَمَيْتُ) كناية عما آل إليه من الضعف(وَلاَ سَيْفِي بقَطَّاعِ) كناية عما آل إليه حاله من الضعف والفتور .

- (قُنَّةٍ قَنْوَاءَ قَدْ بَلَغَتْ هامَ السِماكِ ، وفاتَتهُ بِأبواعِ) كناية عن شدة ارتفاع المكان الذي كان يقيم فيه.
- (إِذَا الْبُرُوقُ ازْمهَرَّتْ خِلْتَ ذِرْوَتَهَا شَهماً تدرَّعَ من تـبرٍ بِـأدراعِ) تشبيه تمثيلي ؛ شبه فيه ذروة المكان المرتفع الذي يقيم فيه الشاعر حين يلمع البرق فوقه بشخص شـهم قـد ارتـدى دروعـا مـن ذهب وهو تشبيه يفيد مـدى علـو هـذا المكـان وشـدة لمعانـه . (وَتَحْبِسُ البَدْرَ عَنْ سَيْرٍ وَإِقْلاَعِ) كناية عن شدة ارتفاعها .
- (لا فى " سرنديبَ " خِلٌّ أستعينُ بهِ) كناية عن وحشة المكان .
- (لاصبري بمطواع) استعارة مكنية.
- (مالك حزمي) استعارة مكنية .
- (جدب ، إمراع) طباق يبرز المعنى ويوضحه .
- كناية عن الإيمان والثقة في الله .منتظر أمرا من الله) .
- أساليب الفقرتين : الثالثة والرابعة خبرية تفيد التقريـر وإثبـات هذه المعاناة التي يعيشها الشاعر .

وقال وهو في منفاه أيضا:

لكل دمع جرى من مقلتى سبب

لكل دمع جرى من مقلتى سبب وكيف يملك دمع العين مكتئب ؟
لولا مكابدة الأشواق ما دمعت عين و لا بات قلب في الحشا يجب
فيا آخا العذل لا تعجل بلائمة عليَّ فالحب سلطان لـــه الغلـــب
لو كان للمرء عقل يستضيئ به في ظلمة الشك لم تعلق به النوب
ولو تبيّن ما في الغيب من حدث لكان يعلم مـــا يـــأتي ويجتنـــب
لكنه غرض للـــدهر يرشـــقه بأسهم ما لها ريـــش ولا عقـــب
فكيف أكتم أشواقي وبي كلف تكاد من مسه الأحشاء تنشعب؟
كأن قلبي إذا هاج الغرام بـــه بين الحشا طائر في الفخ يضطرب
لا يترك الحب قلبي من لواعجه كأنما بين قلبي والهوى نســـب
منازل كلما لاحـــت مخايلهـــا في صفحة الفكر مني هاجني طرب
لي عند ساكنها عهد شقيت به والعهد لم يصنه الود منقضـــب

****

أبيت في غربة لا النفس راضية بها و لا الملتقى من شيعتي كثــب
فلا رفيق تسر النفس طلعته ولا صديق يرى مــابي فيكتئــب
ومن عجائب مالاقيت من زمني أني منيت بخطب أمــره عجــب
فهل دفاعي عن ديني وعن وطنــي ذنب أدان به ظلمــا وأغتــرب ؟

****

أثريت مجدا فلم أعبأ بما سلبت أيدي الحوادث مني فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفسا وهي عالية ولا يشيد بذكر الخامــل النشــب
إني امرؤ لا يرد الخوف بــادرتي ولا يحيف على أخلاقي الغضــب
ملكت حلمي فلم أنطق بمندية وصنت عرضي فلم تعلق به الريب
فإن يكن ساءني دهري وغادرني في غربة ليس لي فيها آخ حدب
فسوف تصفو الليالي بعد كدرتها وكــل دور إذا مــا تــمّ ينقلــب

****

المفردات:

- الخطب : الكارثة والمصيبة ، وجمعها : خطوب.
- النشب : الجاه والمال.
- فرية : كذبة ، والجمع : فِرَى .
- الريب : الشكوك ، والمفرد ريبة.
- مندية : مخزية.
- حدب : عطوف .

مناسبة النص :

نفي الشاعر إلى سرنديب واستقر به المقام هناك بعيدا عن أرضه وأهله وذويه فهو مؤرق مسهد مانفك يذكر أهله وأيما له في مصر فيذرف الدمع مدرارا وتهتاج روحه لذكرها ليلا ونهارا ، لاتطمئن له نفس ، ولايرتاح له جنب ، ولايهدأ له بال ، وفي النص تعبير وتصوير لتلك الأحاسيس ومافي النفس من خلجات وانفعالات .

البناء الفكري :

بداية غزلية كما عودنا الشاعريبين فيها أن لكل دمع ينسكب من العينين سبب وأن مكابدة الأشواق مبعث للحزن والأسى ولولاها مادمعت عين ولابات قلب مضطربًا ؛ لذا يطلب مما ينحي عليه باللائمة أن يتريث ويرفق به ، لأن الحب غالب على الناس والحب سلطان آمر يعنو له الخلق ويأتمرون بأمره ، ولو أنه حكم عقله واستهدى به لكان يدرك تماما مايفعل ، ومايبتعد عنه ، وما علقت به الشكوك والاتهامات لكن هذا نصيب ومقدر له أن يصاب بتلك السهام وينالة منها الوصب والأوجاع .

وفي الجزء الثاني من النص يصور الشاعر حاله في اغترابه عن وطنه ، فقد أصبحت الغربة مكانا يقيم فيه ليله ونهاره دونما صديق يحمل عنه همة ويعينه في مايواجه من شدة وألم وليس معه في محنة الاغتراب رفيق يسره مرآه ويسِرّي عنه مما يلاقي ، ومن العجب أنه نفي عن وطنه دونما سبب يقضي بذلك ، ذنبه الوحيد أنه دافع عن دينه وعن وطنه وتلك في عرف المحتلين جريمة لا تغتفر وذنب ينبغي أن يعاقب عليه ، وهو بذلك يفضح أمر المستعمرين وأنهم

يصادرون أموال وأملاك الوطنيين الكرماء ، ويسفهون أحلام الشرفاء ويلصقون التهم بالأبرياء فسحقا للمستعمرين .

وفي الجزء الثالث لا يستسلم الشاعر لليأس في غربته ويحاول أن يسري عن نفسه ؛ إذ يبين أنه قد حقق أمجادا جمة بمجهوده فلايهمه ماقد ضاع منه لأنه قادر على أن يصنع مثله فالمال لايرفع شأن الوضيع ولايحقق منزلة مرتفعة للخاملين الضعفاء ، ومن ثم يفتخر الشاعر بنفسه وبما لديه من صفات سامية وأخلاق عالية 'فهو شجاع لايعرف الخوف إلى قلبه طريقا ، وهو حليم متسع الصدر لايتملكه الغضب ، وهو عفيف الناس لاينطق بكلام مخز وعرضه شريف صيَّن ، لذلك لايبالي ولايحفل بما يتقول به الحاقدون ، فقد تقولوا وافتروا على سيدنا يوسف من قبل ، والشاعرمتفائل لايفقد الأمل ، يؤمن بتبدل الأحوال وتغيرها ، فهو وإن تركته الأيام في غربة موحشة ليس فيها من يرفق به فسوف تؤول إلى خير وكل دور إذا تم ينقلب .

البناء اللغوي الجمالي:

الألفاظ والأساليب والصور والمحسنات التي أتى بها الشاعر تعبر عن معاناته وآلامه في غربته ، وانظر إلى الألفاظ والعبارات: دمع ، مكابدة ، أشواق ، غربة ، لاصديق لارفيق، أدان ، ظلما ، أغترب ، والعبارات : بات قلب في الحشا يجب ، لاالنفس راضية بها ولا الملتقى من شيعتي كثب ،كلها تعبر عما يجيش في نفسه من مشاعر الأسى والحزن .

والصوروالأساليب أيضا تدل على تلك المعاناة نتبينها في :

(يملك دمع العين) استعارة مكنية . شبه دمع العين بشيء مادي يملك وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه أفادت عدم المقدرة على التحكم في آلامه .

- (بات قلب في الحشا يجب): كناية عن شدة الحزن والألم .
- (يا أخا العذل)كناية عن نسبة العذل إليه ، وهو أسلوب إنشائي جاء في صيغة النداء بغرض الرجاء والالتماس وطلب التمهل وعدم التعجل باللوم من العاذل اللائم.

- (الحب سلطان) تشبيه بليغ يوحي بالسيطرة والهيمنة والقوة.
- (تكاد من مسه الأحشاء تنشعب)كناية عن شدة أشواقه التي تؤلمه.

وانظر إلى أساليب الإنشاء في :

- الاستفهام في قوله : (كيف يملك دمع العين مكتئب ؟) تجده جاء بغرض النفي والتعجب .
- والنهي في قوله : (لا تعجل بلائمة عليَّ) يفيد الالتماس والطلب .
- والاستفهام في قوله : (فكيف أكتم أشواقي وبيكلف تكاد من مسه الأحشاء تنشعب ؟) يفيد التعجب والاستبعاد
- (فهل دفاعي عن ديني وعن وطني ذنب أدان به ظلما وأغترب ؟)استفهام يفيد الإنكار والنفي والدهشة.
- (ماذا الويل والحرب) استفهام للتعجب .

والأساليب الخبرية التي أتى بها الشاعر : تفيد المعاناة ومايترتب عليها من الأسى والألم ، وتأمل ذلك في قوله :

✓ لكل دمع جرى من مقلة سبب .

✓ أبيت في غربة

✓ لم أقترف زلة تقضي عليّ بما أصبحت فيه

- أبيت في غربة)كناية عن تجدد آلامه في الغربة وشدتها .
- قوله (أبيت) يوحي بأنه يعيش في ظلام دامس، والتعبير بالمضارع يوحي بالاستمرار والتجدد .
- (لا النفس راضية بها) يوحي بالقهر والظلم .
- (لا الملتقى من شيعتي كثب) يوحي باليأس والمرارة .
- (فلا صديق تسر النفس طلعته) يفيد الأسى والحزن .
- (لم أقترف زلة تقضي عليَّ بما أصبحت فيه) يفضح الاستعمار الظالم .
- (أثريت مجدا) استعارة مكنية جعل المجد المعنوي مالاً يقتنى وهي تفيد عظمة المجد الذي اكتسبه بجده وكفاحه وعرق جبينه .
- (سلبت أيدي الحوادث) استعارة مكنية تصور الحوادث إنسانا يسلب ، وتوحي بغلبة الدهروقوته وقسوته .

- (ملكت حلمي) استعارة مكنية فقد جعل الحلم عقارا يملك وتفيد سيطرته على نفسه .
- (لم أنطق بمندية) كناية عن اللغة المهذبة وانتقاء الألفاظ والكلمات .
- (صنت عرضي) استعارة مكنية جعل فيها العرض ذخائر تحفظ وتصان .
- (لم تعلق به الريب) كناية عن طهارته وعفته ونقاء شرفه .
- (وما أبالي ونفسي غير خاطئة إذا تخرص أقوام وإن كذبوا) كناية عن الثقة بالنفس .
- تصفو الليالي) استعارة مكنية يشبه الليالي بالماء الذي يصفو، وفيها إبراز للمعنى في صورة حسية .
- ومن المحسنات : (تصفو – كدرتها) طباق ، يكسب المعنى قوة ووضوحا فبضدها تتميز الأشياء (و لا يحيف على أخلاقي الغضب) استعارة مكنية شبه الغضب بشخص يظلم الآخرين ويحيف عليهم ، وتدل على مدى سيطرته على نفسه .

- (لا يرد الخـوف بـادرتي : تعبـير يفيـد قـوة الشـاعر وعـدم وقوف الخوف في طريقه ويبرز مدى شجاعته .
- فلم أنطق بمندية) تعبير يوحي بعلو أخلاقه وسموها .
- (أثريت) يفيد عظم المجد الذي حققه بكده وجده .
- (سلبت)إيحاء بصراع الدهر له وغلبته عليه .
- الجمل الخبرية في المقطـع الأخـير غرضـها افتخـار الشـاعر بمواقفه وبنفسه في قوله :
  - ✓ أثريت مجدا .
  - ✓ لم أنطق بمندية .
  - ✓ صنت عرضي .
  - ✓ لم تعلق به الريب .
  - ✓ لايخفض البؤس نفسا وهي عالية .

****

ويبقى البارودي صوتًا متفردًا في مسيرة الشعر العربي ، وعلامة مضيئة يهتدي بها السارون في درب القريض الطويل " فقد صحح المسار وأعاد للشعر العربي مكانته " ورد إليه مظاهر قوته بعد أن سلبته عصور الضعف أسلحته وجردته من ثوبه الأنيق ، وحادت به عن جادة الطريق ، وفي نهج البارودي وهو يعود بالشعر إلى موقعه اللائق به مظاهرفيها تقليد وأخرى فيها تجديد.

فمن مظاهر التقليد في شعر البارودي

أ- التزام الوزن الواحد والقافية الواحدة، كما كان يفعل القدماء.

ب-التأثر بالسابقين وتقليدهم في الصور الجمالية وماكانوا يتوخونه من جزالة الألفاظ وقوتها .

ج-الإكثار من الحكم- تقريبا – في كل قصائده ، حتى صارت علامة مميزة لقصائده جميعها. .

أما مظاهر التجديد في شعره فهي :

أ- وضع عنوان للقصيدة يوحي بمضمونها ، وهذا لم يكن موجودا عند الشعراء العرب القدماء .

ب- الحرص على الوحدة العضوية ، في محاولة منه لأن تكون القصيدة كيانا واحدا متماسكا ، بمعنى أنها تنصرف إلى غرض واحد.

ج-الكتابة في موضوعات سياسية وطنية ، وفي شعر القدماء لم يعرف هذا النوع من الشعر .

ونستطيع بعد ذلك أن نبرز خصائص أسلوب البارودي الفنيةونجملها فيما يلي:

أ-انتقاء الألفاظ الملائمة لمعانيه ، ومايختلج في صدره من أحاسيس.

ب- تضمين الحكمة في شعره بما يخدم المعني ويبرزه .

ج- صدق العاطفة ، ورقة المشاعر ، وكان لايكتب إلا عن إحساس صادق وتجربة .

د- الاعتماد على الصور الجزئية من تشبيه واستعارة وكناية

ه- الزهد في المحسنات البديعية ، ومايأتي منها يكون غير متكلف أما ماتميزت به مدرسة الإحياء والبعث التي وضع البارودي أسسها ،وشيد أركانها فهي :

1-المحافظة على الوزن الواحد والقافية الواحدة

2- الحرص على جزالة الألفاظ وقوتها .

3- توخي متانة الأسلوب وملاءمته للمعنى الـذي يـدور في نفـس الشاعر .

4- تجنب المحسنات البديعية المتكلفة

5-تقليد القدامى في ما تتضمنه القصيدة من معان وصورجمالية .

6 - عـرض الموضـوعات القديمـة في ثـوب جديـد يـالائم روح العصر.

7-التعبير عن بعض الجوانب التي تهم حياتهم الخاصة والتجـارب الذاتية .

8-الارتباط الوثيق بقضايا المجتمع السياسية والوطنية والاجتماعية وتناولها في مايكتب من شعر .

من أجمل قصائد

محمود سامي البارودي

قال في صباه:

في الغزل والحكمة

خَلَعْتُ فِي حُبِّ غزْلانِ الْحِمَى رَسَنِي ... وَبِعْتُ بِالسُّهْدِ فِي لَيْلِ الْهَوَى وَسَنِي

وَأَعْجَبَتْنِي عَلَى ذَمِّ الْعَذُولِ لَها ... صَبَابَةٌ نَقَلَتْ سِرِّي إِلَى الْعَلَنِ

فَلْيَبْلُغِ الْعَذْلُ مِنِّي مَا أَرَادَ فقَدْ ... أَسْلَمْتُ لِلشَّوْقِ رُوحِي وَالضَّنَى بدَنِي

تِلْكَ الْحَمَائِمُ لَوْ تَدْرِي بِمَا لَقِيَتْ ... أَهْلُ الْمَحَبَّةِ لمْ تَسْجَعْ عَلَى فَنَنِ

يَا رَبَّةَ الْخِدْرِ قُومِي فَانْظُرِي عَجَباً ... إِلَى غَرَائِبَ لَمْ تُقْدَرْ وَلَمْ تَكُنِ

هَذِي يَدِي جسَّهَا الآسِي وَخَامَرَهُ ... يَأْسٌ فَغَادَرَهَا صَرْعَى مِنَ الْوَهَنِ

وَقَالَ لا تَكْتَمَنْ أَمراً عَلَيَّ فَقَدْ ... عَلِمْتُ مَا بِكَ مِنْ بَادٍ وَمُكْتَمِنِ

فَلَمْ أُجِبْ غَيْرَ أَنَّ الدَّمعَ نَمَّ عَلَى ... وَجْدِي وَدَلَّتْهُ أَنْفَاسِي عَلَى شَجَنِي

عَطْفاً عَلَيَّ فَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكَ سِوَى ... أَنْ أُمْتِعَ الْعَيْنَ مِنْ تِمْثَالِكِ الْحَسَنِ

لا تَقْبَلِي الْعَذْلَ فِي مِثْلِي فَكلُّ فَتَىً ... حُرِّ الشَّمَائِلِ مَحْسُودٌ عَلَى الْفِطَنِ

وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ أَهْلِ الْفَضْلِ مُذْخُلِقُوا ... مِنْ عَهْدِ آدَمَ سَبَّاقُونَ فِي الإِحَنِ

فَلا صَدِيقَ عَلَى وُدٍّ بِمُتَّفِقٍ ... وَلا خَلِيلَ عَلَى سِرٍّ بِمُؤْتَمَنِ

فَلَيْتَ لِي وَدَوَاعِي النَّفْسِ كَاذِبَةٌ ... خِلاً يَكُونُ سُرُورَ الْعَيْنِ وَالأُذُنِ

أُصْفِيهِ وُدِّي وَأُمْلِيهِ الْهَوَى وَأَرَى ... مِنْهُ الصَوَابَ وَأَرْجُوهُ عَلَى الزَّمَنِ

هَيْهَاتَ أَطْلُبُ أَمْرَاً لَيْسَ يَبْلُغُهُ ... حَيٌّ وَلَوْ سَارَ مِنْ هِنْدٍ إِلَى يَمَنِ

مَهْلاً أَخَا الْجَهْلِ لا يُغْوِيكَ مَا نَظَرَتْ ... عَيْنَاكَ فِي هذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

هذِي الْبَرِيَّةُ فَانْظُرْ إِنْ وَجَدْتَ بِهَا ... غَيْرَ الَّذِي قُلْتُ فَاهْجُرْنِي وَلا تَرَنِي

أَنَا الَّذِي عَرَفَ الأَيَّامَ وَانْكَشَفَتْ ... لَهُ سَرَائِرُهَا مِنْ كُلِّ مُخْتَزَنِ

طُفْتُ الْبِلادَ وَجَرَّبْتُ الْعِبَادَ فَلَمْ ... أَرْكَنْ لِخِلٍّ وَلَمْ أَجْنَحْ إِلَى سَكَنِ

خُلِقْتُ حُرّاً فَلا قَدْرِي بِمُتَّضِعٍ ... عِنْدَ الْمُلُوكِ وَلا عِرْضِي بِمُمْتَهَنِ

لا عَيْبَ فِيَّ سِوَى أَنِّي عَتَبْتُ عَلَى ... دَهْرِي فَقَدَّمَ مَنْ دُونِي وَأَخَّرَنِي

وَهَذِهِ شِيمَةُ الدُّنْيَا وَمِنْ عَجَبٍ ... أَنِّي أَرَى مِحْنَتِي فِيهَا وَتُعْجِبُنِي

لَيْسَ السُّرُورُ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ ... يَفِي بِقَدْرِ الَّذِي يَمضِي مِنَ الْحَزَنِ

فَاسْتَبْقِ نَفْسَكَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً فَطِناً ... وَاقْنَعْ بِعَيْشِكَ فِي سِرْبَالِكَ الْخَشِنِ

وَلا تفُهْ بِحَدِيثِ النَّفسِ إِنَّ بِهِ ... شرَّ الْحَيَاةِ وَسَعْيَ الْحَاسِدِ الأَفِنِ

وَلا تَسَلْ أَحَداً عَوْناً عَلَى أَمَلٍ ... حَتَّى تَكُونَ أَسِيرَ الشّكْرِ وَالْمِنَنِ

خَيْرُ الْمَعِيشَةِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَةً ... هَوْناً وَثَوْبُكَ مَعْصُومٌ مِنَ الدَّرَنِ

وَعَاشِرِ النَّاسَ بِالْحُسْنَى فَإِنْ عَرَضَتْ ... إِسَاءَةٌ فَتَغَمَّدْهَا عَلَى الظِّنَنِ

فَالصَّفْحُ عَنْ بَعْضِ مَا يُمْنَى الْكَرِيمُ بِهِ ... فَضْلٌ يَطِيرُ بِهِ شُكْرٌ بِلا ثَمَنِ

هَذَا الطَّرِيقُ فَإِنْ أَخْطَأْتَ شِرْعَتَهُ ... أَضَعْتَ نَفْسَكَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ

وقال متحدثا عما ألم به وماصدر
ضده من حكم بالنفي والتشريد

من خالف الحزم

مَنْ خَالَفَ الْحَزْمَ خَانتْهُ مَعَاذِرُهُ ... وَمَنْ أَطَاعَ هَـوَاهُ قَـلَّ نَاصِـرُهُ
وَمنْ تَرَبَّصَ بِالإِخْوَانِ بَـادِرَةً ... منَ الزَّمَـانِ فَـإِنَّ اللهَ قَـاهِرُهُ
لايَجْمُلُ الْمَرْءُ فِي ظرْفٍ وَفِي أَدَبٍ ... مَا لَمْ تَكنْ فَوْقَ مَـرْآهُ سَـرَائِرُهُ
وَمَا الصَّدِيقُ الَّذِي يُرْضِيكَ بَاطِنُهُ ... مِثْلُ الصَّدِيقِ الَّذِي يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ
قَدْ لا يَفوهُ الْفَتى بالأَمْرِ يُضْمِرُهُ ... وَبيْنَ عَيْنَيْهِ مَا تُخْفِي ضَـمَائِرُهُ
أَسْتَودِعُ اللهَ عَصْرًا قَدْ خَلَعْتُ بِهِ ... عُذْرَ الْهَوَى وَهْوَ غَضَّاتٌ مَكَاسِـرُهُ
لَمْ يَمْضِ مِنْ حُسْنِهِ مَا كُنْتُ أَعْهَدُهُ ... حَتَّى أَصَابَ سَوَادَ الْقَلْـبِ نَـاقِرُهُ
كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى حَالٍ نَعِيشُ بِهَا ... وَالدَّهْرُ مَأْمُونَـةٌ فِينَـا بَـوَادِرُهُ
إِذْ لا صَدِيقَ يَسُرُّ السَّمْعَ غَائِبُهُ ... وَلا رَفِيقَ يَرُوقُ الْعيْنَ حَاضِـرُهُ
كُنَّا نَوَدُّ انْقِلابًا نَستَرِيحُ بِـهِ ... حَتَى إِذَا تَـمَّ سَـاءَتْنَا مَصَـايِرُهُ
قَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ الْمَاضِينَ نَافِعُهُ ... فَصَارَ في الْخَلَفِ الْبَاقِينَ ضَـائِرُهُ
مَا أَبْعدَ الْخَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِطَالِبِهِ ... وَأَقْرَبَ الشّرَّ مِنْ نَفْسٍ تُحَـاذِرُهُ
أَكُلَّمَا مَرَّ مِنْ دَهْـرٍ أَوَائِلُـهُ ... كَـرَّتْ بِمثْـلِ أَوَالِيـهِ أَوَاخِـرُهُ
إِنْ دَامَ هَذَا أَضَاعَ الرُّشْدَ كَافِلُهُ ... والعقل مختبـل ممـا يحـاذره
تَنَكَّرَتْ مِصْرُ بَعْدَ الْعُرْفِ وَاضْطَرَبَتْ ... قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى رِيـعَ طَـائِرُهُ

فَأَهْمَلَ الأَرْضَ جَرَّا الظُّلْمِ حَارِثُهَا وَاسْتَرْجَعَ الْمَالَ خَوْفَ الْعُدْمِ تَــاجِرُهُ

وَاسْتَحْكَمَ الْهَوْلُ حَتَّى مَا يَبِيتُ فَتًــى فِي جَوْشَنِ اللَّيْلِ إِلا وَهْــوَ سَــاهِرُهُ

وَيُلْمِّهِ سَكَنًا لَوْلا الدَّفِينُ بِــهِ مِنَ الْمَــآثِرِ مَــا كُنَّــا نُجَــاوِرُهُ

أَرْضَى بِهِ غَيْرَ مَغْبُوطٍ بِنِعْمَتِهِ وَفِي سِوَاهُ الْمُنَى لَــوْلا عَشَــائِرُهُ

يَا نَفْسُ لا تَجْزَعِي فَالْخَيْرُ مُنْتَظَرٌ وَصَاحِبُ الصّبْرِ لا تَبْلَــى مَرَائِــرُهُ

لَعَلَّ بُلْجَةَ نُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهَــا بَعدَ الظَّلامِ الَّذِي عَمتْ دَيَــاجِرُهُ

إِنِّي أَرَى أَنْفُسًا ضَاقَتْ بِمَا حَمَلَتْ وَسَوْفَ يَشْهرُ حدَّ السَّــيْفِ شَــاهِرُهُ

شَهْرَانِ أَوْ بَعْضُ شَهْرٍ إِنْ هِيَ احْتَدَمَتْ وَفِي الْجَدِيدَيْنِ مَا تُغْنِــي فَــوَاقِرُهُ

فَإِنْ أَصَبْتُ فَعَنْ رَأيٍ مَلَكْتُ بِهِ عِلْمَ الْغيُوبِ وَرَأْيُ الْمــرْءِ نَــاظِرُهُ

ترحلَّ من وادى الأراكةِ بالوجدِ

ترحلَّ من وادى الأراكةِ بالوجدِ ... فَبَاتَ سقِيماً لا يُعِيدُ، وَلاَ يُبْــدِي
سقيماً تظَلُّ العائداتُ حوانياً ... عليهِ بإشفاقٍ، وإن كانَ لا يجدى
يَخَلْنَ بِهِ مَسّاً أَصَابَ فُــؤادَهُ ... وليسَ بهِ مسٌّ سوَى حرَقِ الوَجدِ
بِهِ عِلَّةٌ إِنْ لَمْ تُصِبْهَا سَلاَمَةٌ ... مِنَ اللَّهِ كَادَتْ نَفْسَ حَامِلِهَا تُرْدِي
وَمِنْ عَجَبِ الأَيَّامِ أَنِّيَ مُولَعٌ ... بِمَنْ لَيْسَ يَعْنِيهِ بُكَائِي وَلاَ سُهْدِي
أَبِيتُ عَلِيلاً فِي «سَرَنْدِيبَ» سَاهِراً ... أُعَالِجُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَتِي وَحْدِي
أدورُ بعينى لا أرَى وَجهَ صاحبٍ ... يَرِيعُ لِصَوْتِي، أَوْ يَرِقُّ لِمَا أُبْدِي
وممَّا شجانى بارِقٌ طارَ مَوهناً ... كَمَا طَارَ مُنْبَثُّ الشَّرَارِ مِنَ الزَّنْدِ
يمزِّقُ أستارَ الدُّجُنَّةِ ضَوءُهُ ... فَيَنْسِلُهَا ما بَيْنَ غَوْرٍ إِلى نَجْــدِ
أَرِقتُ لهُ، والشُّهبُ حيرَى كليلةٌ ... مِنَ السَّيْرِ، وَالآفَاقُ حَالِكَةُ الْبُرْدِ
فبتُّ كأنِّى بينَ أنيــابِ حَيَّــةٍ ... مِنَ الرُّقْطِ، أَوْ فِي بُرْثُنَىْ أَسَدٍ وَرْدِ
أقلِّبُ طرفى، والنُّجومُ كأَنَّهــا ... قَتيرٌ مِنَ الياقوتِ يلمعُ فى سَرَدِ
ولا صاحبٌ غيرُ الحسامِ منُوطَةٌ ... حمائلهُ منِّى على عــاتقٍ صَــلد

****

خَلِيلَىَّ !هذا الشوقُ لا شكَّ قاتلى ... فميلا إلى (المقياسِ) إن خفتما فقدى
ففِى ذَلِكَ الوادى الَّذى أَنبتَ الهوى ... شِفَائِيَ مِنْ سُقْمِي، وَبُرْئِيَ مِنْ وَجْــدِي
ملاعبُ لهوٍ، طالما سِرتُ بينَها ... على أثَرِ اللَّذاتِ فى عيشةٍ رَغدِ

إِذَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ سَالَتْ مِنَ الأَسَى معَ الدَّمعِ ، حَتَّى لا تُنَهنَــهُ بــالرَدِّ
فَيَا مَنْزِلاً رَقْرَقْتُ ماءَ شَبيبَتِي بِأَفْنَائِهِ بَيْنَ الأَرَاكَــةِ والرَّنــدِ
سرَت سحَراً فاستَقبلتكَ يدُ الصبا بِأَنْفَاسِهَا، وَانْشَقَّ فَجْــرُكَ بِالْحَمــدِ
وزرَّ عليكَ الأُفقُ طوقَ غمامة خضيبةِ كفِّ البرق حنَّانةِ الرعــدِ
فلستُ بناسٍ ليلةً سلفَت لَنَــا بِوَادِيهِ، والدُّنْيَا تَغرُّ بِمَا تُسْــدِي
إِذَا الْعَيْشُ رَيَّانُ الأَمَالِيدِ، والْهَوَى جَدِيدٌ، وَإِذْ «لَمْيَاءُ» صَافِيَةُ الْوُدِّ
مُنَعَّمَةٌ ، لِلبدرِ ما فى قِناعها وَلِلْغُصْنِ ما دَارَتْ بِهِ عُقْدَةُ الْبَنْدِ
سَبَتنى بعينها ، وقالت لِتربها أَلاَ مَا لِهَذَا الْغِرِّ يَتْبَعُنِي قَصْدِي؟
وَلَمْ تَدْرِ ذَاتُ الْخَالِ وَالْحُبُّ فَاضِــحٌ بأنَّ الَذى أخفيهِ غيرَ الذى أُبدى
حَنَانَيْكِ، إِنَّ الرَّأْيَ حَارَ دَلِيلُهُ فَضَلَّ، وعادَ الْهَزْلُ فِيكِ إِلَى الْجِدِّ
فَلاَ تَسْأَلِي مِنِّي الزِّيَادَةَ في الْهوَى رُويداً ، فهذا الوجدُ آخرُ ما عنــدِى

****

وإنِّى لمقدامٌ على الهولِ والردى بنَفسى، وفى الأقدامِ بالنَفسِ ما يُــردى
وإنى لقوالٌ إذا التبسَ الهُدى وجارَت حُلومُ القومِ عن سننِ القصدِ
فإن صُلتُ فدَّانى الكمِىُّ بنفسهِ وإن قلتُ لبَّانى الوليدُ منَ المهدِ
كذلِكَ إنِّى قائــلٌ ثُــمَّ فاعــلٌ فعالى، وغيرى قَد يُنيرُ ولا يُسدى

****

وقال في الحنين إلى مصر

أَبَابِلُ رَأْيَ الْعَيْنِ أَمْ هَذِهِ مِصْرُ ... فَإِنِّي أَرَى فيها عُيُونًا هِيَ السِّحْرُ؟

نَوَاعِسُ أَيْقَظْنَ الْهَوَى بِلَوَاحظٍ ... تَدِينُ لَهَا بِالْفَتْكَةِ الْبِيضُ وَالسُّمرُ

فَلَيْسَ لِعَقْلٍ دُونَ سُلْطَانِهَا حِمًى ... وَلا لِفُؤَادٍ دُونَ غِشْيَانِهَا سِتْرُ

فَإِنْ يَكُ مُوسَى أَبْطَلَ السِّحْرَ مَرَّةً ... فَذَلِكَ عَصْرُ الْمُعْجِزَاتِ وَذَا عَصْرُ

فَأَيُّ فُؤَادٍ لا يَذُوبُ صَبَابَةً ... وَمُزْنَةِ عَيْنٍ لا يَصُوبُ لَهَا قَطْرُ

بِنَفْسِي وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ رَبِيبَةٌ ... مِنَ الْعِينِ فِي أَجْفَانِ مُقْلَتِهَا فَتْرُ

فَتَاةٌ يَرِفُّ الْبَدْرُ تَحْتَ قِنَاعِهَا ... وَيَخْطِرُ فِي أَبْرَادِهَا الْغُصْنُ النَّضْرُ

تُرِيكَ جُمَانَ الْقَطْرِ فِي أُقْحُوانَةٍ ... مُفَلَّجَةِ الأَطْرَافِ قِيلَ لَهَا ثَغْرُ

تَدِينُ لِعَيْنَيْهَا سَوَاحِرُ بَابِلٍ ... وَتَسْكَرُ مِنْ صَهْبَاءِ رِيقَتِهَا الْخَمْرُ

فَيا رَبَّةَ الْخِدْرِ الَّذِي حَالَ دُونَهُ ... ضَرَاغِمُ حَرْبٍ غَابُهَا الأَسَلُ السُّمْرُ

أَمَا مِنْ وِصَالٍ أَسْتَعِيذُ بِأُنْسِهِ ... نَضَارَةَ عَيْشٍ كَانَ أَفْسَدَهُ الْهَجْرُ

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِحُبِّكِ عَالِمًا ... بِأَنَّ جُنُونِي فِي هَوَاكِ هُوَ الفخْرُ

فَلا تَحْسَبِي شَوْقِي فُكَاهَةَ مَازِحٍ ... فَمَا هُوَ إِلا الْجَمْرُ أَوْ دُونَهُ الْجَمْرُ

هَوًى كَضَمِيرِ الزَّنْدِ لَوْ أَنَّ مَدْمَعِي ... تَأَخَّرَ عَنْ سُقْيَاهُ لاحْتَرَقَ الصَّدْرُ

إِذَا مَا أَتَيْتُ الْحَيَّ فَارَتْ بِغَيْظِهَا ... قُلُوبُ رِجالٍ حَشْوُ آماقِها الْغَدْرُ

يَظُنُّونَ بِي شرًّا وَلَسْتُ بِأَهْلِهِ ... وَظَنُّ الْفَتَى مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وِزْرُ

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ إِنْ تَرَنَّمَ شَـــاعِرٌ بِقَافِيَةٍ لا عيْبَ فِيهَـــا وَلا نُكْـــرُ
أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَبْكِي الْحَمَائِمُ شَجْوَها وَيُبْلَى فَلا يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ حُـــرٌّ
وَأَيُّ نَكِيرٍ فِي هَوًى شَبَّ وَقْدُهُ بِقَلْبِ أَخِي شَوْقٍ فَبَاحَ بِهِ الشِّعْرُ
فَلا يَبتَدِرْنِي بِالْمَلَامَةِ عَـــاذِلٌ فَإِنَّ الْهَوَى فِيهِ لِمُعْتَـــذِرٍ عُـــذْرُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ فَضْلٌ عَلَى النُّهَى لَمَا ذَلَّ حَيٌّ لِلْهَوَى وَلَـــهُ قَـــدْرُ
وَكَيْفَ أَسُومُ الْقَلْبَ صَبْرًا عَلَى الْهَـــوَى وَلَمْ يَبْقَ لِي فِي الْحُبِّ قَلْبٌ وَلا صَبْرُ؟
لِيَهْنَ الْهَوَى إِنِّي خَضَعْتُ لِحُكْمِـــهِ وَإِنْ كَانَ لِي فِي غَيْرِهِ النَّهيُ وَالأَمْرُ
وَإِنِّي امْرُؤٌ تَأْبَى لِيَ الضَّيْمَ صَوْلَةٌ مَوَاقِعُهَا فِي كُلِّ مُعْتَـــرَكٍ حُمْـــرُ
أَبِـــيٌّ عَلَـــى الْحِـــدْثَانِ لا يَسْـــتَفِزُّنِي عَظِيمٌ وَلا يَأْوِي إِلَى سَاحَتِي ذُعْرُ
إِذَا صُلْتُ صَالَ الْمَوْتُ مِنْ وَكَرَاتِهِ وَإِنْ قُلْتُ أَرْخَى مِنْ أَعِنَّتِهِ الشِّعْرُ

****

وقال عن الدهر ومعاناة الحياة

لِكُلِّ حَيٍّ نَذِيرٌ مِــنْ طَبِيعَتِــهِ يُوحِي إِلَيهِ بِمَا تَعْيَا بِــهِ النُّــذُرُ

يَرْجُو وَيَخْشَى أُمُورًا لَوْ تَدَبَّرَهَا لَزَالَ مِنْ قَلْبِهِ التَّأْمِيــلُ وَالْحَــذَرُ

تَرَاهُ يَسْعَى لِجَمْعِ الْمَالِ مُعْتَقِدًا أَنَّ الْفَتَى مَنْ لَدَيْهِ السَّامُ وَالشَّذَرُ

وَكَيْفَ تَنْقَى ثِيابُ الْمَرْءِ مِنْ دَنَسٍ وَقَلبُ لابِسِهَا منْ غَــدْرِهِ قَــذِرُ

يَا فَارِسَ الْخَيْلِ كَفْكِفْ عَنْ أَعِنَّتِهَا فَقَدْ شَكَتْ فِعْلَكَ الأَحْلَاسُ وَالْعُذُرُ

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي بِهَا مَا لَسْتَ تَبْلُغُهُ مِنَ الْبَقَاءِ فَبِئْسَ الْبُطْلُ وَالْهَــذَرُ

إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ طَالَتْ إِلَى أَمَدٍ وَالدَّهْرُ قُرْحَانُ لا يُبْقِي وَلا يَــذَرُ

لا يَأْمَنُ الصَّامِتُ الْمَعْصُومُ صَوْلَتَهُ وَلا يَدُومُ عَلَيهِ النَّــاطِقُ البَــذِرُ

فَاضْرَعْ إِلَى اللهِ وَاسْتَوهِبْهُ مَغْفِرَةً تَمْحُو الذُّنُوبَ فَجَانِي الذَّنْبِ يَعْتَــذِرُ

وَاعْجَلْ وَلا تَنْتَظِرْ تَوْبًا غَدَاةَ غَــدٍ فَلَيْسَ فِي كُــلِّ حِــينٍ تُقبَــلُ الْعــذَرُ

هَيْهَاتَ لا يَسْتَوِي الشَّخْصَانِ فِي عَمَلٍ هَــذَا صَــحِيحٌ وَهَــذَا فَاسِــدٌ مَــذِرُ

وَقَالَ وهو فِي جَزِيرةِ سَرَنْدِيبَ
وَقَدْ رَأَى ابْنَتَهُ الْوُسْطَى فِي الْمَنام:

تَأَوَّبَ طَيْفٌ مِنْ سَمِيرَةَ زَائِرٌ وَمَا الطَّيْفُ إِلَّا مَا تُرِيهِ الْخَوَاطِرُ

طَوَى سُدْفَةَ الظَّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ بِأَرْوَاقِهِ وَالنَّجْمُ بِالأُفْقِ حَائِرُ

فَيَا لَكَ مِنْ طَيْفٍ أَلَمَّ وَدُونَهُ مُحِيطٌ مِنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ زَاخِرُ

تَخَطَّى إِلَيَّ الأَرْضَ وَجْدًا وَمَا لَهُ سِوَى نَزَوَاتِ الشَّوْقِ حَادٍ وَزَاجِرُ

أَلَمَّ وَلَمْ يَلْبَثْ وَسَارَ وَلَيْتَهُ أَقَامَ وَلَوْ طَالَتْ عَلَيَّ الدَّيَاجِرُ

تَحَمَّلَ أَهْوَالَ الظَّلامِ مُخَاطِرًا وَعَهْدِي بِمَنْ جَادَتْ بِهِ لا تُخَاطِرُ

خُمَاسِيَّةٌ لَمْ تَدْرِ مَا اللَّيْلُ وَالسُّرَى وَلَمْ تَنْحَسِرْ عَنْ صَفْحَتَيْهَا السَّتَائِرُ

فَيَا بُعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي وَيَا قُرْبَ مَا الْتَفَّتْ عَلَيهِ الضَّمَائِرُ

وَلَوْلا أَمَانِي النَّفْسِ وَهْيَ حَيَاتُهَا لَمَا طَارَ لِي فَوْقَ الْبَسِيطَةِ طَائِرُ

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا فَكُلُّ امْرِئٍ يَومًا إِلَى اللهِ صَائِرُ

صَبَرْتُ عَلَى كُرْهٍ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً فَهْوَ صَابِرُ

وَمَا الْحِلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ وَالْمَرْءُ عَاجِزٌ بِمُسْتَحْسَنٍ كَالْحِلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرُ

وَلَكِنْ إِذَا قَلَّ النَّصِيرُ وَأَعْوَزَتْ دَوَاعِي الْمُنَى فَالصَّبْرُ فِيهِ الْمَعَاذِرُ

فَلا يَشْمَتِ الأَعْدَاءُ بِي فَلرُبَّمَا وَصَلْتُ لِمَا أَرْجُوهُ مِمَّـا أُحَـاذِرُ

فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ وَتَنْهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَـوَاثِرُ

وَلِي أَملٌ فِي اللهِ تَحْيَا بِهِ الْمُنَى وَيُشْرِقُ وَجْهُ الظَّنِّ وَالْخَطْبُ كَاشِرُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى اللهِ فِي الَّذِي يُحَاذِرُهُ مِنْ دَهْرِهِ فَهْـوَ خَاسِـرُ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي مَعْرِضِ الْحَقِّ نَاصِرُ

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ حُلْوَ الزَّمَانِ وَمُرَّهُ فَمَا هُوَ إِلا طَائِشُ اللُّـبِّ نَـافِرُ

وَمَا حَمَلَ السَّيْفَ الْكَمِيُّ لِزِينَةٍ وَلَكِنْ لأَمْـرٍ أَوْجَبَتْـهُ الْمفَـاخِرُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلا الْمَعِيشَةَ مَطْلَبٌ فَكُلُّ زَهِيدٍ يُمْسِكُ الـنَّفْسَ جَـابِرُ

فَلَوْلا الْعُلا مَا أَرْسَلَ السَّهْمَ نَازِعٌ وَلا شَهَرَ السَّيْفَ الْيَمَـانِيَّ شَـاهِرُ

مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الدَّنِيَّةَ مَاجِدٌ وَيَقْبَلَ مَكْذُوبَ الْمُنَى وَهْـوَ صَـاغِرُ

عَلَيَّ طِلابُ الْعِزِّ منْ مُسْتَقَرِّهِ وَلا ذَنْبَ لِي إِنْ عَارَضَتْنِي الْمَقَادِرُ

فَمَاذَا عَسَى الأَعْدَاءُ أَنْ يَتَقَوَّلُوا عَلَيَّ وَعِرْضِي نَاصِحُ الْجَيْبِ وَافِـرُ

وَلَو رُمْتُ مَا رَام امرُؤٌ بِخِيَانَةٍ لَصَبَّحَنِي قِسْطٌ مِنَ الْمَالِ غَـامِرُ

وَلَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةُ سَوْأَةً تُعَابُ بِهَا والدَّهْرُ فِيـهِ الْمعَـايِرُ

فَلا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ يَنْفَعُ رَبَّـهُ إِذَا هوَ لَمْ تَحْمدْ قـرَاهُ الْعَشَـائِرُ

فَقَدْ يَسْتَجِمُّ الْمَالُ وَالْمَجْدُ غَائِبٌ وَقَدْ لا يَكُونُ الْمَالُ وَالْمَجْدُ حَاضِرُ

وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى لَكَاثَرَ رَبَّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرُ

فَلا غَرْوَ أَنْ حُزْتُ الْمَكَارِمَ عَارِيًا فَقَدْ يَشْهَدُ السَّيْفُ الْوَغَى وَهْوَ حَاسِرُ

أَنَا الْمَرْءُ لا يَثْنِيهِ عَنْ دَرَكِ الْعُلا نَعِيمٌ وَلا تَعْدُو عَلَيْهِ الْمَفَاقِرُ

قَئُولٌ وَأَحْلَامُ الرِّجالِ عَوَازِبٌ صَئُولٌ وَأَفْوَاهُ الْمَنَايَا فَوَاغِرُ

فَلا أَنَا إِنْ أَدْنَانِيَ الْوَجْدُ بَاسِمٌ وَلا أَنَا إِنْ أَقْصَانِيَ الْعُدْمُ بَاسِرُ

فَمَا الْفَقْرُ إِنْ لَمْ يدْنَسِ الْعِرْضُ فَاضِحٌ وَلا الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرُفِ الْمَرْءُ سَاتِرُ

فَكَمْ بَطَلٍ فَلَّ الزَّمَانُ شَبَاتَهُ وَكَمْ سَيِّدٍ دَارتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ

وَأَيُّ حُسَامٍ لَمْ تُصِبْهُ كَلالَةٌ وَأَيُّ جَوَادٍ لَمْ تَخُنْهُ الْحَوَافِرُ

فَسَوْفَ يَبِينُ الْحَقُّ يَوْمًا لِنَاظِرٍ فَمَهْلا بَنِي الدُّنْيَا عَلَينَا فَإِنَّنَا

إِلَى غَايَةٍ تَنفَتُّ فَيهَا الْمَرَائِرُ تَطُولُ بِهَا الأَنْفَاسُ بُهْرًا وَتَلْتَوِي

عَلَى فَلْكَةِ السَّاقَيْنِ فِيهَا الْمَآزِرُ هُنَالِكَ يَعْلُو الْحَقُّ وَالْحَقُّ وَاضِحٌ

وَيَسْفُلُ كَعْبُ الزُّورِ وَالزُّورُ عَاثِرُ وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الأَمْرُ كُلُّهُ

فَمَا أَوَّلٌ إِلا وَيَتْلوهُ آخِرُ

وقال يتشوق إلى مصر ويبكي على أيام الصبا

ردوا علي الصبا من عصري الخـــالي وهل يعود سواد اللمة البـــالي؟

ماض من العيش ما لاحت مخايلـــه في صفحة الفكر إلا هاج بلبالي

أدهى المصائب غدر قبله ثقة وأقبح الظلم صـــد بعـــد إقبـــال

قلبي سليم ونفسي حرة ويدي مأمونة ولســـاني غيـــر ختـــال

بلوت دهري فما أحمدت سيرته في سابق من لياليـــه ولا تـــالي

حلبت شطريه من يسر ومعسرة وذقت طعميه من خصب وإمحال

لم يبق لي أرب في الدهر أطلبـــه ألا صحابة حر صـــادق الخـــال

وأين أدرك ما أبغيه من وطر والصدق في الدهر أعيا كل محتال

لا في(سر نديب) لي إلف أجاذبه فضل الحديث ولا خل فيرعى لي

أبيت منفرداً في رأس شاهقة مثل القطامي فوق المربأ العالي

إذا تلفت لم أبصر سوى صور في الذهن يرسمها نقاش آمالي

علام أجزع والأيام تشهد لي بصدق ما كان من وسمي وأغفالي؟

راجعت فهرس آثاري فما لمحت بصيرتي فيه ما يزري بأعمالي

فكيف ينكر قومي فضل بادرتي وقد سرت حكمي فيهم وأمثـــالي

أنا ابن قولي وحسبي في الفخار به وإن غدوت كريم العـــم والخـــال

ولي من الشعر آيات مفصلة تلوح في وجنة الأيـــام كالخـــال

ينسى لها الفاقد المحزون لوعته ويهتـــدي بســـناها كـــل قـــوَّال

فانظر لقولي تجد نفسي مصورة في صفحتيه فقولي خط تمثـــالي

ولا تغرنك في الدنيا مشاكلة بين الأنام فليس النبع كالضـــال

إن أبن آدم لولا عقله شـــبح مركب مـــن عظـــام ذات أوصـــال

وقال يَفْخَرُ، وَيُعَرِّضُ بالمَظَالِمِ

على عهد الحُكُومَةِ الاسْتِبْدَادِيَّة:

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لا أَوَدُّهُ ... وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ

أُحَاوِلُ وَصْلا وَالصُّدُودُ خَصِيمُهُ ... وَأَبْغِي وَفَاءً وَالطَّبِيعَةُ ضِدُّهُ

حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلا، ولَمْ أَدْرِ أَنَّهُ ... أَخُو غَدَرَاتٍ يَتْبَعُ الْهَزْلَ جِدُّهُ

تَخِفُّ لَهُ الأَحْلامُ وَهْيَ رَزِينَةٌ ... وَيَعْنُو لَهُ مِنْ كُلِّ صَعْبٍ أَشَدُّهُ

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الْفَتَى وَهْوَ عَاقِلٌ ... يُطِيعُ الْهَوَى فِيما يُنَافِيهِ رُشْدُهُ

يفِرُّ مِنَ السُّلْوَانِ، وَهْوَ يُرِيحُهُ ... وَيَأْوِي إلى الأَشْجَانِ وَهْيَ تَكُدُّهُ

وَمَا الْحبُّ إِلا حاكِمٌ غَيرُ عَادِلٍ ... إِذا رامَ أَمْرًا لَمْ يَجِدْ مَنْ يَصُدُّهُ

لَهُ مِنْ لَفِيفِ الْغِيدِ جَيْشُ مَلاحَةٍ ... تُغِيرُ عَلَى مَثْوَى الضَّمائِرِ جُنْدُهُ

ذوَابِلُهُ قَامَاتُهُ، وَسُيُوفُهُ ... لِحَاظُ الْعذَارَى، وَالْقَلَائِدُ سَرْدُهُ

إِذَا مَاجَ بالْهيفِ الْحِسَانِ، تَأَرَّجَتْ ... مَسَالِكُهُ، وَاشْتَقَّ فِي الْجَوِّ نَدُّهُ

فَأَيُّ فُوادٍ لا تَذُوبُ حَصَاتُهُ ... غَرامًا، وَطَرْفٍ لَيْسَ يُقْذِيهِ سُهْدُهُ

بَلَوتُ الْهَوَى حَتَّى اعْتَرَفْتُ بِكُلِّ مَا ... جَهِلْتُ، فَلا يَغْرُرْكَ فَالصَّابُ شَهْدُهُ

ظَلُومٌ لَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ جَرِيرَةٌ ... يَضِجُّ لَهَا غَوْرُ الْفَضَاءِ وَنَجْدُهُ

إِذَا احْتَلَّ قَلبًا مُطْمَئِنًا تَحَرَّكَتْ ... وَسَاوِسُهُ فِي الصَّدْرِ، وَاخْتَلَّ وَكْدُهُ

فإِنْ كُنْتَ ذا لُبٍّ فَلا تَقرَبَنَّهُ ... فَغيرُ بعيدٍ أَنْ يُصِيبَكَ حَدُّهُ

وقد كُنْتَ أَوْلى بِالنَّصِيحَةِ لَوْ صَغَا ... فُؤَادِي، ولَكِنْ خَالَفَ الْحَزْمَ قَصْدُهُ

إِذَا لَم يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَقُودُهُ ... فَيُوشِكُ أَنْ يَلقَى حُسَامًا يَقُدُّهُ

لَعَمرِي لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ، وَحَلَّ بِي ... مِنَ الشَّيْبِ خَطْبٌ لا يُطاقُ مَرَدُّهُ

فَأَيُّ نَعِيمٍ فِي الزَّمانِ أَرُومُهُ؟ ... وَأَيُّ خَلِيلٍ لِلْوفَاءِ أُعِدُّهُ

وَكَيفَ أَلُومُ الناسَ فِي الْغَدْرِ بَعْدَمَا ... رَأَيْتُ شَبَابِي قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ

وَأَبْعَدُ مَفقُودٍ شبَابٌ رَمتْ بِهِ ... صُرُوفُ اللَّيالِي عِنْدَ مَنْ لا يَرُدُّهُ

فَمَنْ لِي بِخِلٍّ صَادِقٍ أَسْتَعِينُهُ ... عَلى أَمَلِي، أَوْ نَاصِرٍ أَسْتَمِدُّهُ

صَحِبْتُ بَنِي الدُّنْيَا طَوِيلا فَلَمْ أَجِدْ ... خَلِيلًا، فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ أَسْتَجِدُّهُ

فَأَكْثَرُ مَنْ لَاقَيتُ لَمْ يَصْفُ قَلْبُهُ ... وَأَصْدَقُ مَنْ وَالَيتُ لَمْ يُغْنِ وُدُّهُ

أُطَالِبُ أَيَّامِي بما لَيْسَ عِنْدَها ... وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وُجْدُهُ

فَمَا كُلُّ حَيٍّ يَنْصُرُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ ... وَلا كُلُّ خِلٍّ يَصْدُقُ النَّفْسَ وَعْدُهُ

وَأَصْعَبُ ما يَلْقَى الْفَتَى فِي زَمَانِهِ ... صَحابَةُ مَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ فَقْدُهُ

وَلِلنُّجْحِ أَسْبَابٌ إِذَا لَمْ يَفزْ بها ... لَبِيبٌ منَ الْفِتْيَانِ لَمْ يُورِ زَنْدُهُ

وَلَكِنْ إِذَا لمْ يُسْعِدِ الْمَرْءَ جَدُّهُ عَلى سَعْيِهِ لَمْ يَبْلُغِ السّوْلَ جِـدُّهُ

وَما أَنَا بِالْمغْلُوبِ دُونَ مَرامِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَخْذُلُ الْمَـرْءَ جَهْـدُهُ

وما أُبْتُ بالحِرْمَانِ إلا لأَنّنـي أَوَدُّ مِـنَ الأَيَّـامِ مَـالا تَـوَدُّهُ

فَإِنْ يَكُ فَارَقْتُ الرِّضَا فَلَبَعْدَمَا صَحِبْتُ زَمانًا يُغْضِبُ الْحُرَّ عَبْدُهُ

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيعُهُ وَيَملِكَ أَعْنَاقَ الْمَطَالِـبِ وَغْـدُهُ

تَدَاعَتْ لِدَرْكِ الثَّأْرِ فِينَا ثُعالُهُ وَنَامَتْ عَلَى طُولِ الْوَتِيرَةِ أُسْدُهُ

فَحَتامَ نَسْرِي فِي دَيَاجِيرِ مِحْنَةٍ يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غِمْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَـطَتْ عَلَيهِ، فَلَا يَأْسَـفْ إِذَا ضَـاعَ مَجْـدُهُ

وَمَنْ ذَلَّ خَوْفَ الْموتِ، كَانَتْ حَيَاتهُ أَضَرَّ عَلَيهِ مِـنْ حِمَـامٍ يَـؤُدُّهُ

وَأَقْتَلُ دَاءٍ رُؤْيَةُ الْعَينُ ظَالِمًا يُسِيءُ، وَيُتْلَى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ

عَلامَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلا أَيَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا بِيَـوم يَعُـدُّهُ؟

يَرَى الضَّيْمَ يَغْشَاهُ فَيَلْتَذُّ وَقْعَهُ كَذِي جرَبٍ يَلْتَذُّ بِالْحَـكِّ جِلْـدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَاقَى السَّيْلَ ثُمَّتَ لَمْ يَعُجْ إِلَـى وَزَرٍ يَحْمِيـهِ أَرْدَاهُ مَـدُّهُ

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ بِهَا بَطَلا يَحْمِي الْحَقِيقَـةَ شَـدُّهُ

مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى بِمَذَلَّةٍ وَفِي السّيفِ مَا يَكْفِي لِأَمْرٍ يُعِدُّهُ

وَإِنِّي امْرُؤٌ لَا أَسْتَكِينُ لِصَوْلَةٍ وَإِنْ شَدَّ سَاقِي دُونَ مَسْعَايَ قَدُّهُ

أَبَتْ لِي حَمْلَ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ وَقَلْبٌ إِذَا سِيمَ الأَذَى شبَّ وَقْــدُهُ

نَمَانِي إِلَى الْعَلْيَاءِ فَرْعٌ تَأَثَّلَتْ أَرُومتُهُ فِي الْمَجْدِ وَافْتَرَّ سَــعْدُهُ

وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعُلَا بِمَا كَانَ أَوْصَــاهُ أَبُــوهُ وَجَــدُّهُ

أَصُدُّ عَنِ الْمَرْمَى الْقَرِيبِ تَرَفُّعًا وَأَطْلُبُ أَمْرًا يُعْجِزُ الطَّيرَ بُعْــدُهُ

فَإِمَّا حَيَاةٌ مِثْلُ مَا تَشْتَهِي الْعُلا وَإِمَّا رَدًى يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ وَفْدُه

وعلَى روي قصيدة النابغة الذبياني التي أولُها

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ
عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ

قال متغزلا :

ظَنَّ الظُّنُونَ فَبَاتَ غَيرَ مُوَسَّدِ حَيرَانَ يَكْــلأُ مُسْــتَنِيرَ الفرْقَــدِ
قَالُوا غَدًا يَوْمُ الرَّحِيلِ وَمَنْ لَهُمْ خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدِ
هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهَوَى بِشَــغَافِهَا مَعْمُودَةٌ إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَــأَنْ قَــدِ
يَا أَهْلَ ذَا الْبَيتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ أَدْعُوكُمُ يَا قَوْمُ دَعْــوَةَ مُقْصَــدِ
إِنِّي فَقَدْتُ الْيَومَ بَيْنَ بُيُــوتِكُمْ عَقلِي فَــرُدُّوهُ عَلَــيَّ لأَهْتَــدِي
أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بِبَعضِ قِيَانِكُمْ حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِــي أَوْ تَــدِي
بَل يَا أَخَا السَّيفِ الطَّوِيلِ نِجَادُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِ النَّزِيــلَ فَأَغْمِــدِ
هَذِي لِحَاظُ الْغِيدِ بَيْنَ شِعَابِكُمْ فَتكَتْ بِنَا خَلْسًــا بِغَيــرِ مُهَنّــدِ
مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الصِّبَا بَدَوِيَّــةٍ رَيَّا الشَّبَابِ سَــلِيمَةِ الْمُتَجَــرِّدِ
هَيْفَاءَ إِنْ خَطَرَتْ سَبَتْ وَإِذَا رَنَتْ سَلَبتْ فُــؤَادَ الْعَابِــدِ الْمُتَشَــدِّدِ
يَخْفِضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ تَخَتُّلا لِلنَّفسِ فِعْــلَ الْقَانِتَــاتِ الْعبَّــدِ

فَإِذَا أَصبْنَ أَخَا الشَّبَابِ سَلَبْنَهُ وَرَمَيْنَ مُهْجَتَهُ بِطَــرْفٍ أَصْــيَدِ

وَإِذَا لَمَحْنَ أَخَا المَشِيبِ قَلَيْنَهُ وَسَتَرْنَ ضَاحِيَةَ الْمَحَاسِنِ بِالْيَــدِ

لا يَنْطِقُونَ بِغيْرِ ما أَمَرَ الْهَوَى فَكَلامُهُمْ كَالرَّوْضِ مَصْقُولٌ نَدِي

مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّــهُ قَمَرٌ تَوَسّطَ جُــنْحَ لَيــلٍ أَسْــوَدِ

بَلْ رُبَّ غَانِيَةٍ طَرَقْتُ خِبَاءَهَا وَالنَّجْمُ يَطْرِفُ عَنْ لَواحِظِ أَرْمَدِ

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرَتْ إِلَيَّ فَضَحْتَنِي فَارْجِعْ لِشَأْنِكَ فَالرِّجَالُ بِمَرْصَــدِ

فَخَلَبْتُهَا بِالْقَولِ حَتَّى رُضْــتُهَا وَطَوَيْتُهَا طَــيَّ الْحَبِيــرَةِ بِالْيَــد

وقال وهو بأقريطش أيَّام الحربِ
يَتَشَوَّقُ إلى مصْرَ سنة ١٢٨٢هـ

سَرَى الْبَرْقُ مِصْرِيًّا فَأَرَّقَنِي وَحْدِي ... وَأَذْكَرَنِي مَا لَسْتُ أَنْسَاهُ مِنْ عَهْدِ

فَيَا بَرْقُ حَدِّثْنِي وَأَنْتَ مُصَــدَّقٌ ... عَنِ الآلِ والأَصْحَابِ مَا فَعَلُوا بَعْدِي

وَعَنْ رَوْضَةِ الْمِقْيَاسِ تَجْرِي خِلالَهَا ... جَدَاوِلُ يُسْدِيهَا الْغَمَــامُ بِمَــا يُسْــدِي

إِذَا صَافَحَتْهَا الرِّيحُ رَهْوًا تَجَعَّدَتْ ... حَبَائِكُهَا مِثْــلَ الْمُقَــدَّرَةِ السَّــرْدِ

وَإِنْ ضَاحَكَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّهَــا ... مَنَاصِلُ سُلَّتْ لِلضِّرَابِ مِنَ الْغِمْدِ

نَعِمْتُ بِهَا دَهْرًا وَمَا كُلُّ نِعْمَةٍ ... حَبَتْكَ بِهَا الأَيَّامُ إِلا إِلَــى الــرَّدِّ

فَوَا أَسَفَا إِذْ لَيْسَ يُجْدِي تَأَسُّفٌ ... عَلَى مَا طَوَاهُ الدَّهْرُ مِنْعَيْشِنَا الرَّغْدِ

إِذِ الدَّهْرُ سَمْحٌ وَاللَّيَالِي سَمِيعَةٌ ... وَلَمْيَاءُ لَمْ تُخْلِفْ بِلَيَّانِهَا وَعْــدِي

فَتَاةٌ تُرِيكَ الشَّمْسَ تَحْتَ خِمَارِهَا ... إِذَا سَفَرَتْ وَالْغُصْنَ فِي مَعْقِدِ الْبَنْدِ

مِنَ الْفَاتِنَاتِ الْغِيدِ لَوْمَرَّ ظِلُّهَا ... عَلَى قَانِتٍ دَبَّتْ بِهِ سَوْرَةُ الْوَجْدِ

فَتَاللهِ أَنْسَى عَهدَها ما تَرَنَّمَتْ ... بَنَاتُ الضُّحَى بَيْنَ الأَرَاكَةِ وَالرَّنْدِ

حَلَفْتُ بِمَا وَارَى الْخِمَارُ مِنَ الْحَيَا ... وَمَا ضَمَّتِ الأَرْدَانُ مِنْ حَسَبٍ عِدِّ

وَبِاللُّؤْلُؤِ الْمَنْضُودِ بَيْنَ يَوَاقِتٍ ... هِيَ الشَّهْدُ ظَنًّا بَلْ أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ

يَمِينًا لَوِ اسْتَسْقَيْتَ أَرْضًا بِهِ الْحَيَا ... لَخَاضَ بِهَا الرُّعْيَانُ فِي كَلأٍ جَعْدِ

لأَنْتِ وأَيُّ الناسِ أَنْتِ حبِيبَةٌ إِلَيَّ ولَو عَــذَّبْتِ قَلْبِــيَ بِالصَّــدِّ

إِلَيكِ سلَبْتُ الْعَيْنَ طِيبَ مَنَامِهَا وَفِيكِ رَعَيْتُ النَّجْمَ فِي أُفْقِهِ وَحْدِي

وَذَلَّلْتُ هَذِي النَّفْسَ بَعْدَ إِبَائِهَا وَلَولاكِ لَمْ تَسْمَحْ بِحَلٍّ وَلا عَقْــدِ

سلِي عَنِّيَ اللّيلَ الطَّوِيلَ فَإِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا أُخْفِيهِ شَوقًا وَمَا أُبْدِي

هَلِ اكْتَحَلَتْ عَيْنَايَ إِلا بِمَدْمَعٍ إِذَا ذَكَرَتْكِ النَّفْسُ سَالَ عَلَى خَدِّي؟

أُصَبِّرُ عَنْكِ النَّفْسَ وَهْيَ أَبِيَّةٌ وَهَيْهَاتَ صَبْرُ الظَّامِئَاتِ عَنِ الْوِرْدِ

فَهَذَا الَّذِي أَلْقَاهُ مِنْكِ عَلَى النَّوَى فَرَاخِي وَثَاقِي يَا بْنَةَ الْقَومِ أَوْ شُدِّي

وقال وهو في حرب الروس
مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م
وأرسل بها للأستاذ الشيخ «حسين المرصفي»

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى لا سَلامٌ وَلا رَدُّ ... وَلا نَظْرَةٌ يَقْضِي بِهَا حَقَّهُ الْوَجْدُ

لَقَدْ نَعَبَ الْوَابُورُ بِالْبَيْنِ بَيْنَهُمْ ... فَسَارُوا وَلا زَمُّوا جِمَالا وَلا شَدُّوا

سَرَى بِهِمُ سَيْرَ الْغَمَامِ كَأَنَّمَا ... لَهُ فِي تَنَائِي كُلِّ ذِي خُلَّةٍ قَصْدُ

فَلا عَيْنَ إِلا وَهْيَ عَينٌ مِنَ الْبُكَى ... وَلا خَدَّ إِلا لِلدُّمُوعِ بِهِ خَدُّ

لَعَمْرُ الْمَغَانِي وَهْيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ ... بِسَاكِنِهَا مَا شَاقَنِي بَعْدَهَا عَهْدُ

لَكَانَتْ وَفِيهَا مَا تَرَى عَيْنُ نَاظِرٍ ... وَأَمْسَتْ وَمَا فِيهَا لِغَيْرِ الأَسَى وَفْدُ

خَلاءٌ مِنَ الأُلاَّفِ إِلا عِصَابَةً ... حَدَاهُمْ إِلَى عِرْفَانِهَا أَمَلٌ فَرْدُ

دَعَتْهُمْ إِلَيهَا نَفحَةٌ عَنْبَرِيَّةٌ ... وَبِالنَّفْحَةِ الْحَسْنَاءِ قَدْ يُعْرَفُ الْوَرْدُ

وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ بِأَلْسُنٍ ... صَوَامتَ إِلا أَنَّهَا أَلْسُنٌ لُدُّ

فَمِنْ مُقْلَةٍ عَبْرَى وَمِنْ لَفْحِ زَفْرَةٍ ... لَهَا شَرَرٌ بَيْنَ الْحَشَا مَا لَهُ زَنْدُ

فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إِنْ أَلَمَّ بِكَ النَّوَى ... فَكُلُّ فِرَاقٍ أَوْ تَلاقٍ لَهُ حَدُّ

فَقَدْ يُشْعَبُ الإِلْفَانِ أَدْنَاهُمَا الْهَوَى ... وَيَلْتَئِمُ الضِّدَّانِ أَقْصَاهُمَا الْحِقْدُ

عَلَى هَذِهِ تَجْرِي اللَّيَالِي بِحُكْمِهَا فَآوِنَـــةً قُـــرْبٌ وَآوِنَـــةً بُعْـــدُ

وَمَا كُنْتُ لَوْلا الْحُبُّ أَخْضَعُ لِلَّتِي تُسِيءُ وَلَكِنَّ الْفَتَى لِلْهَوَى عَبْـــدُ

فَعُودِيَ صُلبٌ لا يَلِينُ لِغَـــامِزٍ وَقَلْبِيَ سَيْفٌ لا يُفَـــلُّ لَـــهُ حَـــدُّ

إِبَاءٌ كَمَا شَاءَ الْفَخَارُ وَصَبْوَةٌ يَذِلُّ لَهَا فِي خِيسِهِ الأَسَدُ الْـــوَرْدُ

وَإِنَّا أُنَاسٌ لَيسَ فِينَا مَعَابَـــةٌ سِوَى أَنَّ وَادِينَا بِحُكْمِ الْهَوَى نَجْـــدُ

نَلِينُ وَإِنْ كُنَّا أَشِدَّاءَ لِلْهَـــوَى وَنَغْضَبُ فِي شَرْوَى نَقِيرٍ فَنَشْتَدُّ

وَبِي ظَمأٌ لَمْ يَبْلُغِ الْمَاءُ رِيَّـــهُ وَفِي النَّفْسِ أَمْرٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْجَهْدُ

وَكَمْ مِنْ يَدٍ للهِ عِنْدِي وَنِعْمَةٍ يَعَضُّ عَلَيهَا كَفَّهُ الْحَاسِدُ الْوَغْـــدُ

أَنَا الْمَرْءُ لا يُطْغِيهِ عِزٌّ لِثَرْوَةٍ أَصَابَ وَلا يُلْوِي بِأَخْلَاقِـــهِ الْكَـــدُّ

أَصُدُّ عَنِ الْموَفُورِ يُدْرِكُهُ الْخَنَا وَأَقْنَعُ بِالْمَيْسُورِ يَعْقُبُـــهُ الْحَمْـــدُ

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ لِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا وَذَلَّـــتْ لَـــهُ الأُسْـــدُ

وَمَنْ شِيَمِي حُبُّ الْوَفَاءِ سَجِيَّةً وَمَا خَيْرُ قَلْبٍ لا يَدُومُ لَهُ عَهْـــدُ

وَلَكِنَّ إِخْوَانًا بِمِصْرَ وَرُفْقَـــةً نَسُونَا فَلا عَهْدٌ لَـــدَيهِمْ وَلا وَعْـــدُ

أَحِنُّ لَهُمْ شَوْقًا عَلَى أَنَّ دُونَنَا مَهامهَ تَعْيَا دُونَ أَقْرَبِهـــا الرُّبْـــدُ

فَيَا سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ مَا بالُ كُتْبِنَا ثَوَتْ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لها رَدُّ

أَفِي الْحَقِّ أَنَّا ذَاكِرُونَ لِعَهْدِكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَينَـــا لَـــيْسَ يَعْطِفُكُـــمْ وُدُّ

فَلا ضَيْرَ إِنَّ اللهَ يُعْقِبُ عَوْدَةً يَهُونُ لَهَا بَعْدَ الْمُوَاصَلَةِ الصَّـــدُّ

جَزَى اللهُ خَيرًا مَنْ جَزَانِي بِمِثْلِهِ عَلَى شُقَّةٍ غَزْرُ الْحَيَاةِ بِهَا ثَمْـــدُ

أَبِيتُ لِذِكْرَاكُمْ بِهَـــا مُـــتَمَلْمِلا كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ مَشَتْ نَحْوَهُ الْوِرْدُ

فَلا تَحْسَبُونِي غَافِلا عَنْ وِدَادِكُمْ رُوَيدًا فَمَا فِي مُهْجَتِي حَجَرٌ صَلْدُ

هُوَ الْحُبُّ لا يَثْنِيهِ نَأْيٌ وَرُبَّما تَأَرَّجَ مِنْ مَسِّ الضِّرَامِ لَهُ النَّـــدُّ

نَأَتْ بِيَ عَنْكُمْ غُرْبَةٌ وَتَجَهَّمَتْ بِـــوَجْهِيَ أَيَّـــامٌ خَلائِقُهَـــا نُكْـــدُ

****

أَدُورُ بِعينِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعدُّ

جَوَاثٍ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِغارَةٍ يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَبْـــدُو

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَّحَ الشَّرُّ بِاسْمِهِ وَصَاحَ الْقَنَا بِالْمَوْتِ وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ

فَأَنْتَ تَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ كَبَّةً يُحَدِّثُ فِيهَا نَفْسَهُ الْبَطَلُ الْجَعْـــدُ

عَلَى الأَرْضِ مِنْهَا بِالدِّمَاءِ جَدَاوِلٌ وَفَوْقَ سَرَاةِ النَّجْمِ مِنْ نَقْعِهَا لِبْدُ

إِذَا اشْتَبَكُوا أَوْ رَاجَعُوا الزَّحْفَ خِلْـــتَهُمْ بُحُورًا تَوَالَى بَينَهـــا الْجَـــزْرُ وَالْمَـــدُّ

نَشُلُّهُمُ شَلَّ الْعطَاشِ وَنَتْ بِهَا مُرَاغَمَةُ السّقيَا وَمَاطَلَهَا الْـــوِرْدُ

فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ وَهَارِبٍ طَلِيحٍ وَمَأْسُورٍ يُجَاذِبُهُ الْقِدُّ

نَرُوحُ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى وَنَغْدُو عَلَيْهِمْ بِالمنَايَا إِذَا نَغْدُو

****

وَنَقْعٍ كَلُجِّ البَحْرِ خُضْتُ غِمَارَهُ ولا مَعْقِلٌ إِلا المَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ

صَبَرْتُ لَهُ والْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً وَيَنْغَلُّ طَوْرًا فِي الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُّ

فَمَا كُنْتُ إِلَّا اللَّيْثَ أَنْهَضَهُ الطَّوَى وَمَا كُنْتُ إِلا السَّيفَ فَارَقَهُ الْغِمْدُ

صَئُولٌ وِلِلأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى ضَرُوبٌ وَقَلْبُ الْقِرْنِ فِي صَدْرِهِ يَعْدُو

فَمَا مُهْجَةٌ إِلا وَرُمحِي ضَمِيرُهَا وَلا لَبَّةٌ إِلا وَسَيفِي لَهَا عِقدُ

وَمَا كُلُّ سَاعٍ بَالِغٌ سُؤْلَ نَفْسِهِ وَلا كُلُّ طَلَّابٍ يُصَاحِبُهُ الرُّشْدُ

****

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَمَا السَّيْفُ إِلا آلَةٌ حَمِلُهَا إِدُّ

إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ زَكَا فَنَاءٌ فَمكْرُوهُ الْفَنَاءِ هُوَ الْخُلْدُ

وَتَخْلِيدُ ذِكْرِ الْمَرْءِ بَعْدَ وَفَاتِهِ حَيَاةٌ لَهُ لا مَوْتَ يَلْحَقُهَا بَعْدُ

فَفِيمَ يَخَافُ الْمَرْءُ سَوْرَةَ يَومِهِ وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقْعِهِ بُدُّ

أَنَاالْقَائِلُ الْمَحْمُودُ مِنْ غَيْرِ سبَّةٍ وَمِنْ شِيمَةِ الْفَضْلِ الْعَدَاوَةُ وَالضَّدُّ

فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ ابْنَهُ وَهوَ نَفْسُهُ وَرُبَّ سِوَارٍ ضَاقَ عَنْ حَمْلِهِ الْعَضْدُ

فَلا زِلْتُ مَحْسُودًا عَلَى الْمَجْدِ والْعُلا فَلَيْسَ بِمَحْسُودٍ فَتًـــى وَلَـــهُ نِـــدُّ

****

وقال في يوم عيد الفطر وهو في تلك الحرب:

أَرَاكَ الْحِمَى شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدُ ... وَصَبْرِي وَنَوْمِي فِي هَوَاكَ شَرِيدُ

مَضَى زَمَنٌ لَمْ يَأْتِنِي عَنْكَ قَادِمٌ ... بِبُشْرَى ولَمْ يَعْطِفْ عَلَيَّ بَرِيدُ

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَّانِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ ... أَلا كُلُّ مَنْ يَبْغِي الْوَفَاءَ وَحِيدُ

فَهَلْ لِغَرِيبٍ طَوَّحَتْهُ يَدُ النَّوَى ... رُجُوعٌ وَهَلْ لِلْحَائِمَاتِ وُرُودُ

وَهلْ زَمَنٌ ولَّى وَعَيْشٌ تَقَيَّضَتْ ... غَضَارَتُهُ بَعْدَ الذَّهَابِ يَعُودُ

أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالْقَدِيمِ وَإِنَّمَا ... يَلَذُّ اقْتِبَالُ الشّيْءِ وَهْوَ جَدِيدُ

وَمَا ذِكْرِيَ الأَيَّامَ إِلَّا لأَنَّهَا ... ذِمَامٌ لِعِرْفَانِ الصِّبَا وَعُهُودُ

فَلَيْسَ بِمَفْقُودٍ فَتًى ضَمَّهُ الثرَى ... وَلَكِنَّ منْ غَالَ الْبِعَادَ فَقِيدُ

أَلا أَيُّها الْيَوْمُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ لَهُ ... ذَكُورًا سِوَى أَنْ قِيلَ لِي هُوَ عِيدُ

أَتَسْأَلُنَا لُبْسَ الْجَدِيدِ سَفَاهَةً ... وَأَثْوَابنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ حَدِيدُ

فَحَظُّ أُنَاسٍ مِنْهُ كَأْسٌ وَقَيْنَةٌ ... وَحَظُّ رِجَالٍ ذُكْرَةٌ وَنَشِيدُ

لِيَهْنَ بِهِ مَنْ بَاتَ جَذْلانَ نَاعِمًا ... أَخَا نَشَوَاتٍ مَا عَلَيهِ حَقُودُ

تَرَى أَهْلَهُ مُسْتَبْشِرِينَ بِقُرْبِهِ ... فَهُمْ حَوْلَهُ لا يَبْرَحُونَ شُهُودُ

إِذَا سارَ عَنْهُمْ سَارَ وَهْوَ مُكَرَّمٌ وَإِنْ عَادَ فِيهِمْ عَادَ وَهْوَ سَـــعِيدُ

يُخَاطِبُ كُلًّا بِالّذِي هُوَ أَهْلُـــهُ فَمُبْـــدِئُ شُـــكْرٍ تَـــارَةً وَمُعِيـــدُ

****

وقال في الشوق إلى مصر وهو بعيد عنها

هَل مِن طبيبٍ لِداءِ الحُبِّ ، أوراقِى ؟

هَل مِن طبيبٍ لِداءِ الحُبِّ، أوراقِى؟ يَشفِى عَليلاً أخــا حُــزنٍ وإيــراق

قَدْ كَانَ أَبْقَى الْهَوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقاً حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْبَــاقِي

حُزنٌ بَرانِى، وأشواقٌ رَعَت كَبِدِى يا ويحَ نَفسِى مِن حُــزنٍ وأشــواق

أُكلِّفُ النَفسَ صَبراً وهي جازِعةٌ والصَّبْرُ فِي الْحُبِّ أَعْيَا كُلَّ مُشْتاق

لافى "سَرنديبَ" لِى خِلٌّ ألوذُ بِهِ ولا أنيسٌ سِوَى هَمِّى وإطراقِــى

أبيتُ أرعَى نَجومَ اللَّيلِ مرتَفِقاً فِي قُنَّةٍ عَزَّ مَرْقَاهَا عَلَى الرَّاقِي

****

يا حَبذا نَسمٌ مِنْ جَوِّها عَبِقٌ يَسرِى عَلَى جَدولٍ بِالماءِ دَفَّاق

مَرعَى جِيادِى ومَأوى جِيرتِى وَحِمى قَوْمِي، وَمَنْبــتُ آدَابِــي وَأَعْرَاقِــي

أصبو إليها عَلى بُعدٍ، ويُعجِبُنِى أنِّى أعيشُ بِها فى ثوبِ إمــلاق

وكيفَ أنسى دِياراً قد تَركتُ بِها أَهْلاً كِراماً لَهُمْ وُدِّي وَإِشْــفَاقِي؟

إذا تَذكَّرتُ أيَّاماً بِهِم سَــلَفتْ تَحَدَّرت بِغروبِ الــدَّمعِ آمــاقِى

فَيا بريدَ الصّبا بَلِّغ ذَوى رَحِمِى أنِّى مُقيمٌ على عَهدِى ومِيثــاقِى

****

عَصرٌ تَولَّى، وأبقَى فى الفؤادِ هَوًى يَكَـــادُ يَشـــمَلُ أَحْشَـــائِي بِـــإِحْرَاق

فَلا يَعِبنِى حَسودٌ أن جَرى قَدَرٌ فَلَيْسَ لِي غَيْرُ مَا يَقْضِيهِ خَلاَّقِي

أسلَمتُ نَفسِى لِمولًى لا يخيبُ لَهُ راجٍ عَلَى الدَهرِوالمولى هو الـــواقى

يا قَلبُ صَبراً جَميلاً، إنهُ قَدَرٌ يَجرِى عَلَى المَرءُ مِنْ أســـروإطلاق

لا بُدَّ لِلضيق بَعدَ اليأسِ من فَرَجٍ وكُـــلُّ داجِيـــةٍ يَومـــاً لإشـــراق

****

وقال أيضا في الحنين إلى مصر

أعائدٌ بكِ – يا ريحانةُ – الزمنُ ؟

أعائدٌ بكِ –يا ريحانةُ – الزمنُ ؟ فيلتقي الجفنُ بعدا البينِ وَالوسنُ

أشتاقُ رجعةَ أيامي لكاظمـــةٍ وَمَا بِيَ الدَّارُ لَوْلاَ الأَهْـلُ وَالسَّـكَنُ

فهلْ تردُّ الليالي بعضَ ما سلبتْ؟ أمْ هلْ تعودُ إلى أوطانها الظعنُ ؟

أَهَنْتُ لِلْحُبِّ نفْسِي بَعْدَ عِزَّتِهَا وَأَيُّ ذِي عِزَّةٍ لِلْحُبِّ لاَ يَهِـنُ؟

لَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْهَوَى سِرٌّلَمَا ظَهَرَتْ بِوَحْيِ قُدْرَتِهِ فِي الْعَـالَمِ الْفِـتَنُ

فَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَعْدَمَا عَلِقَتْ بِيَ الصِّبَابَةُ حَتَّى شَفَّنِي الْوَهَنُ

لولا جريرةُ عيني ما سمحتُ بها للدمعِ تسفحهُ الأطلالُ وَ الـدمنُ

دَعَتْ إِلَى الْغَيِّ قَلْبِي؛ فَاستَبَدَّ بـهِ شَوْقٌ تَوَلّدَ مِنْهُ الْهَـمُّ وَالشَّـجَنُ

ودونَ ما تبغيهِ النفسُ منْ أربٍ بَيْدَاءُ تَصْهَلُ فِي أَرْجَائِهَا الْحُصنُ

وفي الأكلَّةِ آرامٌ تطيفُ بها أسدٌ براثنهـا الخطِّيـةُ اللـدنُ

منْ كلّ حوراءَ مثلِ الظبي لوْ نظرتْ لِعَابـدٍ لَشَـجَاهُ اللَّهْـوُ وَالـدَّدَنُ

في نشوةِ الراحِ منْ ألحاظها أثرٌ وفِي الْجَـآذِرِ مـنْ أَلْفَاظِهَـا غُـنَنُ

دَقَّتْ، وَجَلَّتْ، وَلاَنَتْ، وَهْيَ قَاسِيَة كَذَاكَ حَدُّ الْمَوَاضِي لَـيِّنٌ خَشِـنُ

طوتْ بهنَّ النوى عني بدورَ دجى لا يستبينُ لعيني بعـدها سـننُ

أتبعتهمْ نظراتٍ كلمـا بلغـتْ أخرى الحمولِ ثناها مدمعٌ هـتنُ

يَا رَاحِلِينَ وَفِي أَحْدَاجِهِمْ قَمَرٌ يَكَادُ يَعْبُدُهُ مِـنْ حُسـنِهِ الْـوَثَنُ

منوا عليَّ بوصلٍ أستعيدُ بـهِ منْ مهجتي رمقاً يحيا به البـدنُ

أوْ فاسمحوا لي بوعدٍ إنْ ونتْ صلةٌ فَالْوَعْدُ مِنْكُمْ بِطِيبِ الْعَـيْشِ مُقْتَـرِنُ

لمْ ألقَ منْ بعدكمْ يوماً أسرُّ بهِ كَأَنَّ كُلَّ سُـرُورٍ بَعْـدَكُمْ حَـزَنُ

يَا جِيرَةَ الْحَيِّ! مَا لِي لاَ أَنَالُ بِكُمْ معونةًوَ بكمْ في الناس يُعتونُ ؟

مَاذَا عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَـادِرَة إذا ترنمَ فـيكمْ شـاعرٌ فطـنُ ؟

أَفِي السَّوِيَّةِ أَنْ يَبْكِي الْحَمَامُ، وَلاَ يبكي على إلفهِ ذو لوعةٍ ضمنُ ؟

يا حبذا مصرُ لوْ دامتْ مودتها وهلْ يدومُ لحيٍّ فـي الـورى سـكنُ ؟

تاللهِ ما فارقتها النفسُ عنْ مللٍ وَإِنَّمَـا هِـيَ أَيَّـامٌ لَهَـا إِحَـنُ

فلا يسرَّ عداتي ما بليتُ بـهِ فَسَوْفَ تَفنَىوَيَبْقَى ذِكْرِيَ الْحَسَنُ

ظَنُّوا ابْتِعادِيَ إِغْفَالاً لِمَنْقَبَتِي وَذَاكَ عِز لَهَا لَوْ أَنّهُـمْ فَطِنُـوا

فإنْ أكنْ سرتُ عنْ أهلي وعنْ وطني فَالنَّاسُ أَهْلِي، وَكُلُّ الأَرْضِ لِي وَطَنُ

لاَ يَطْمِسُ الْجَهْلُ مَا أَثْقَبْتُ مِنْ شَــرَفٍ وكيفَ يحجبُ نورَ الجونةِ الــدخنُ ؟

قدْ يرفعُ العلمُ أقواماً وَإنْ تربــوا وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَقْوَاماً وَإِنْ خَزَنُوا

فَرُبَّ ميْتٍ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ نَسَمٌ وربَّ حيٍّ لهُ منْ جهلــهِ كفــنُ

فلا تغرنكَ أشباهٌ تمــرُّ بهــا هَيْهَاتَ، مَا كُلُّ طِرْفٍ سابِقٌ أَرِنُ

فلا ملامَ على ما كانَ منْ حدثٍ فكُلُّنَــا بِيــدِ الأَقْــدَارِ مُــرْتَهَنُ

لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ في تَصَرُّفِهِ لعاشَ حراً، وَ لمْ تعلقْ بهِ المحنُ

وأيُّ حيٍّ وَ إنْ طالتْ سلامتهُ يبْقَى ؟ وَأَيُّ عَزِيزٍ لَيْسَ يمتَهَنُ؟

كلُّ امريءٍ غرضٌ للدهرِ يرشقهُ بأسهمٍ لا تقي أمثالهــا الجــنــنُ

فَلْيشْغَبِ الدَّهرُ أَوْ تَسْكُنْ نَوَافِرُهُ فَلَسْتُ منْهُ عَلَى مَــا فَــاتَ أَحْتَــزِنُ

غنيتُ عما يهينُ النفسَ منْ عرضٍ فما عليَّ لحيٍّ في الورى مــنــنُ

لَكِنَّني بَيْنَ قَوْمٍ لاَ خلاَقَ لَهمْ إِنْ عَاقَدُوا غَدَرُوا أَوْ عَاشَروا دَهَنُوا

يخفونَ منْ حسدٍ ما في نفوسهمُ وَيُظْهِرُونَ خِدَاعاً غَيْرَ مَا بَطنوا

يا للحماةِ ! أما في الناسِ منْ رجلٍ وارى الضميرِ، لهُ عقــلٌ بــهِ يــزنُ ؟

أكلَّ خلَّ أراهُ لا وفــاءَ لــهُ ؟ وكلَّ قلبٍ عليَّ اليومَ مضطغنُ ؟

تغيرَ الناسُ عما كنتُ أعهدهُ فاليومَ لاَ أدبٌ يغنى، وَلاَ فطــنُ

فالخيرُ منقبضٌ، وَالشرُّ منبسطٌ والجهلُ منتشرٌ، وَالعلمُ منــدفنُ

لَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ سَلِيماً فِي مَوَدَّتِهِ كَأَنَّ كُلَّ امرِىءٍ فِي قَلْبِــهِ دَخَــنُ

طَوَاهُمُ الْغِلُّ طَيَّ الْقِدِّ، وَانْتَشَــرَتْ بالغدرِ بيــنهمُ الأحقــادُ وَالــدمنُ

فَلاَ صَدِيقَ يُرَاعِي غَيْبَ صَاحِبِهِ وَلاَ رَفِيقَ عَلَى الأَسْرَارِ يُــؤْتَمَنُ

بَلَوْتُهُمْ؛ فَسَئِمْتُ الْعَيْشَ، وَانْصَرَفَتْ نفسي عنِ الناس حتى ليسَ لي شــجنُ

فَإِنْ يَكُنْ فَاتَنِي مَا كُنْتُ أَملكُهُ فَالْبُعْدُ عَنْهُمْ لِمَــا أَتلَفتُــهُ ثَمَــنُ

كَفَى بِحَرْبِ النَّوَى سَلماً نَجَوْتُ بِهِ وربَّ مخشية فــي طيهــا أمــن

لعلَّ مزنة خيرٍ تستهلُّ علــى رَوْضِ الأَمَانِي؛ فَيَحيَــا الأَصْــلُ

وكلُّ شيءٍ لهُ بدءٌ وعاقبــةٌ وكيفَ يبقى على حدثانهِ الزمنُ ؟

****

وقال وصف مخادع

صاحبٍ لا كانَ مِن صاحبٍ

وصاحبٍ لا كانَ مِن صاحبٍ أخلاقُــهُ كالمعــدةِ الفاســدَه
أَقْبَحُ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَصْلَةٍ أَحْسَنُ مَا فِي نَفْسِــهِ الْجَامــدَهْ
لو أنَّهُ صُــوِّرَ مِــن طَبعــهِ كانَ لعمــرِى عقربــاً راصِــدَه
يَصلحُ للصَّفعِ لِكَى لا يُــرَى في عَــدَدِ النــاسِ بِــلاَ فَائِــدَهْ
يغلبــهُ الضَّــعفُ ، ولَكنَّــهُ يهــدِمُ فــى قَعدتــهِ المائــدَه
يُراقبُ الصَّحنَ علــى غفلــة مِــنْ أَهْلــهِ كَــالْهِرَّةِ الصَّــائِدَهْ
كأنمــا أظفــورهُ مِنجَــلٌ وبَــيْنَ فَكّيْــهِ رَحًــى راعِــدَهْ
كَأَنَّمــا البطَّــةُ فــى حلقــهِ نَعامــةٌ فــى سبسَــبٍ شــارِدَه
تَسْمعُ لِلبَلْــعِ نقيقــاً، كَمَــا نقَّــت ضَــفادي ليلــةٍ راكِــدَه
كأنَّمــا أنفاســهُ حَرجــف وبــينَ جنبيــهِ لظــىً واقــدَه

****

وقال في وصف مخادع آخر

وِصَالُكَ لِي هَجْرٌ، وَهَجْرُكَ لِي وَصْلُ

وِصَالُكَ لِي هَجْرٌ، وَهَجْرُكَ لِي وَصْـلُ ... فزدني صدوداً ما استطعتَ،وَلاَ تـــألُ

إذا كان قربي منكَ بعداً عن المنـــى ... فَلاَ حُمَّتِ اللُّقْيَا، وَلاَ اجْتَمَعَ الشَّمْلُ

وَ كيفَ أودُّ القربَ منْ متلونٍ ... كَثِيرِ خَبَايَا الصّدْرِ، شِيمَتُهُ الْخَتْلُ

فليتَ الذي بيني وَبينكَ ينتهي ... إلى حيثُ لا طلحٌ يرفُّ وَ لاَ أثلُ

خَبُثْتَ، فَلَوْ طُهِّرْتَ بِالْمَاءِ لاَكْتَسَى ... بكَ الماءُ خبثاً لا يحلُّ بهِ الغسلُ

فوَجْهُكَ مَنْحُوسٌ، وَكَعْبُكَ سَافِلٌ ... وَقَلْبكَ مدْغُولٌ، وَعَقْلُـــكَ مُخْتَـــلٌّ

بكَ اسودتِ الأيامُ بعدَ ضيائها ... وَأَصْبَحَ نَادِي الْفَضْلِ لَيْسَ بِهِ أَهْـــلُ

فلوْ لمْ تكنْ في الدهرِ ما انقضَّ حادثٌ ... بِقَوْمٍ، وَلاَ زَلَّتْ بِذِي أَمَـــلٍ نَعْـــلُ

فَمَا نَكْبَةٌ إِلاَّ وَأَنْتَ رَسُـــولُها ... وَلاَخيبةٌ إلاَّ وَ أنتَ لهـــا أصـــلُ

أَذُمُّ زَمَاناً أَنْتَ فيـــهِ وَبَلْـــدَةً ... طلعتَ عليها ؛ إنهُ زمـــنٌ وَغـــلُ

ذمامكَ مخفورٌ، وَعهدكَ ضـــائعٌ ... وَرَأْيُكَ مَأْفُونٌ، وَعَقْلُـــكَ مُخْتَـــلٌّ

مَخَازٍ لَوَ انَّ النَّجْمَ حُمِّلَ بَعْضَهَا ... لَعَاجَلَهُ مِنْ دُونِ إِشْـــرَاقِهِ أَفْـــلُ

فسرْ غيرَ مأسوفٍ عليكَ، فإنما ... قُصَارَى ذَمِيمِ الْعَهْدِ أَنَّ يُقْطَعَ الْحَبْلُ

وقال في فضل العلم

بقوةِ العلمِ تقوى شوكةُ الأممِ

بقوة العلمِ تقوى شوكةُ الأمـــمِ ... فَالْحُكْمُ في الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ

كمْ بينَ ما تلفظُ الأسيافُ منْ علقٍ ... وَبَيْنَ مَا تَنْفثُ الأَقْلامُ منْ حِكَـمِ

لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ كَانَ الْفَضْلُ بَيْنَهُمُ ... بِقَطْرَةٍ مِنْ مِدَادٍ، لاَ بِسَـفْكِ دَمِ

فاعكفْ على العلمِ، تبلغْ شأوَ منزلـةٍ ... في الفضلِ محفوفةٍ بالعزِّ وَالكـرمِ

فليسَ يجنى ثمارَ الفوزِ يانعةً ... منْ جنةِ العلمِ إلاَّ صادقُ الهممِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ ... سَبْقُ الرِّجَالِ، تَسَاوَى النَّاسُ في الْقِيَمِ

وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الدَّهْرِ، إِنْ ذَهَبَتْ ... أَوْقَاتُهَا عَبَثاً، لَمْ يَخْلُ مِنْ نَـدَمِ

لَوْلاَ مُدَاوَلَةُ الأَفْكَارِ مَا ظَهَـرَتْ ... خَزَائِنُ الأَرْضِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ

كمْ أمةٍ درستْ أشباحها، وسـرتْ ... أرواحها بيننا في عـالمِ الكلـمِ

فَاسْتَيْقِظُوا يَا بَنِي الأَوْطَانِ، وانْتَصِـبُوا ... للعلمِ ؛ فهوَ مدارُ العدلِ في الأممِ

وَلاَ تَظُنُّوا نَماءَ المَالِ، وَانْتَسِبُوا ... فَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَا يَحْوِيهِ ذُو نَسَمِ

فَرُبَّ ذِي ثَرْوَةٍ بِالْجَهْلِ مُحْتَقَرٍ وَرُبَّ ذي خلةٍ بـــالعلمِ محتـــرمِ

شيدوا المدارسَ فهي الغرسُ إنْ سقتْ أَفْنَانُهُ أَثْمرَتْ غَضّاً مِنَ الــنِّعَمِ

مَغنَى عُلُومٍ، تَرَى الأَبنَاءَ عَاكِفَةً عَلَى الدُّرُوسِ بِهِ، كَالطَّيْرِ في الْحَرَمِ

فَكَمْ تَرَى بَيْنَهُمْ مِنْ شَاعِرٍ لسِنٍ أَوْ كَاتِبٍ فطِنٍ، أَوْ حَاسِبٍ فَهِــمِ

وَنَابغٍ نالَ منْ علمِ الحقوق بها مَزِيَّةً أَلبَســتهُ خِلْعَــةَ الْحكَــمِ

وَلُجِّ هَنْدَسَةٍ تَجْرِي بِحِكْمَتِهِ جَدَاوِلُ الْمَاءِ في هَالٍ مِنَ الأَكُــمِ

بَلْ، كَمْ خَطِيبٍ شَفَى نَفْساً بِمَوْعِظَةٍ وكَمْ طبيبٍ شفى جسماً منَ السقمِ

مُؤَدَّبُونَ بآدَابِ الْمُلُوكِ، فَــلاَ تَلْقَى بِهِمْ غَيْرَ عَالِي القدْرِ مُحْتَشِمِ

قَوْمٌ بِهِمْ تَصْلُحُ الدُّنْيَا إِذَا فَسَدَتْ وَيفرُقُ الْعَدْلُ بَيْنَ الذِّئْبِ وَالْغَنَمِ

وَكيفَ يثبتُ ركنُ العدلِ في بلدٍ لَمْ يَنْتَصِبْ بَيْنَهَا لِلْعِلْمِ مِنْ عَلَمِ؟

ما صورَ اللهُ للأبدانِ أفئدة إِلاَّ لِيَرْفَعَ أَهْــلَ الْجِــدِّ وَالفَهَــمِ

وَأَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ أَفْضَى إِلَى أَمَدٍ في الفضلِ، وَامتازَ بالعالي منَ الشيمِ

لَوْلاَ الْفَضِيلَةُ لَمْ يَخْلُدْ لِذِي أَدَبٍ ذِكرٌ عَلَى الدَّهْرِ بَعدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ

فلينظرِ المرءُ فيما قدمتْ يده قَبْلَ الْمَعَادِ، فإِنَّ الْعُمرَ لَــمْ يَــدُمِ

****

وقال مترحما على زمن الصبا

تولَّى الصِّبا عَنِّى ، فكيفَ أعيده؟

تولَّى الصِّبا عَنِّى، فكيفَ أعيــدهُ ... وقَدْ سارَ فى وادى الفَناءِ بريدهُ؟

أُحاولُ منهُ رجعةً بعدَ ما مضــى ... وذَلِكَ رَأْيٌ غَابَ عَنِّــي سَــدِيدُهُ

فَمَا كُلُّ جَفرٍ غاضَ يَرْتَدُّ نَبْعُــهُ ... ولا كلُّ ساقٍ جفَّ يخضرُّ عودهُ

فإن أكُ فارقتُ الشَّبابَ فقبلــهُ ... بكيتُ رضاعاً بانَ عنِّى حميــدهُ

وأىُّ شبابٍ لا يزولُ نعيمــهُ ؟ ... وسِربالِ عيشٍ ليسَ يبلى جديدهُ ؟

فلاغروَإن شابت منَ الحزنِ لِمَّتى ... فإنِّى فى دهــرٍ يشــيبُ وليــدهُ

يهدِّمُ من أجسادنا ما يشيدهُ ... وَيَنْقُصُ مِنْ أَنفَاسِنَا مَا يَزِيــدُهُ

أَرَى كُلَّ شَيْءٍ لا يَدُومُ، فمَا الَذِي ... ينالُ امرؤٌ من حبِّ ما لا يفيدهُ ؟

فَوَا حَسْرَتَا! كَمْ زَفْرَةٍ إِثْرَ لَوْعَــة ... إِذَا عَصَفَتْ بِالقلْبِ كادَتْ تُبِيــدُهُ

أَحِنُّ إِلى وادِي النَّقَا، ويَسُرُّنِي ... عَلَى بُعْدِهِ أَنْ تَسْــتَهِلَّ سُــعُودُهُ

وأصدقُهُ ودَّى، وإن كنتُ عالماً ... بأنَّ النقا لم يَدنُ منِّــى بعيــدهُ

فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ يَا صَاحِ بِالْهَوَى ... فإنَّ الرَّدى حِلفُ الهوى وعَقيدهُ

ومَا أَنَا مِمَّنْ يَرْهَبُ الْمَوْتَ إِنْ سَطَا إذا لم تكُن نُجلَ العيونِ شهودُهُ

****

أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْفُوعُ بِالفِعْلِ قَوْلُهُ إِذا ما عَقِيدُ القَوْمِ رَثَّتْ عُقُــودُهُ

تعوَّدتُ صِدقَ القولِ حتَّى لو أنَّنى تَكَلَّفْتُ قَــوْلاً غَيْــرَهُ لا أُجِيــدُهُ

أُضاحِكُ وَجْهَ الْمَرْءِ يَغْشَاهُ بشْرُهُ وأَعْلَمُ أَنَّ القلْبَ تَغْلِــي حُقُــودُهُ

ومَنْ لمْ يدارِ النَّاسَ عاداهُ صحبهُ وأَنْكرهُ منْ قومهِ مَــنْ يســودُهُ

فَمنْ لِي بِخِلٍّ أَسْتَعِينُ بِقُرْبِــهِ على أملٍ لم يبــقَ إلاَّ شــريدهُ

سَمِعْتُ قَدِيماً بِالْوَفَاءِ فَلَيْتَنِي عَلِمْتُ عَلَى الأَيَّامِ أَيْنَ وُجُــودُهُ

فإن أنا لمْ أملِكْ صَديقاً فإنَّنى لِنفسى صديقٌ لا تخيسُ عهــودهُ

وَحَسْبُ الْفَتَى مِنْ رَأْيِهِ خَيْرُ صاحِبٍ يُوازِرُهُ في كُــلِّ خَطْــبٍ يَئُــودُهُ

إذا لمْ يكُن للمرءِ مِنْ بدَهاتهِ نَصيرٌ، فأخلَق أَنْ تَخيبَ جدودهُ

وإنِّى وإن أصبَحتُ فرداً فإنَّنى بنَفسيِ عشيرٌ ليسَ ينجو طريدهُ

وَلِي مِن بَدِيعِ الشِّعْرِ ما لَوْ تَلَوْتُهُ على جبلٍ لانهالَ فى الدوِّ رِيدهُ

إِذَا اشْتَدَّ أَوْرَى زَنْدَةَ الْحَرْبِ لَفْظُهُ وَإِنْ رَقَّ أَزْرَى بِالْعُقُودِ فَرِيــدُهُ

يقطعُ أنفاسَ الرِّياحِ إذا سرى ويســبقُ شــأوَ النَّيِّــرينِ قَصــيدهُ

إِذَا ما تَلاهُ مُنْشِدٌ في مَقَامَــةٍ كَفَى الْقَوْمَ تَرْجيعَ الْغِناءِ نَشِيدُهُ

سيبقى بهِ ذكرى على الدَّهرِ خالداً وذِكْرُ الفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ خُلُــودُهُ

****

وقال أيضا

ذهبَ الصبا ، وَ تولتِ الأيام

ذهبَ الصبا ، وَتولتِ الأيــامُ فعلى الصبا وَعلى الزمانِ سلامُ
تَاللَّهِ أَنْسَى ما حَييتُ عُهُودَهُ ولِكُلِّ عَهْدٍ فِــي الْكِــرَامِ ذِمَــامُ
إِذْ نحنُ في عيشٍ ترفٌّ ظلالهُ وَلَنَــا بِمُعتَــرَكِ الْهَــوَى آثَــامُ
تَجْرِي عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسٍ فيهــا الســلامُ تعــانقُ وَ لــزامُ
فِي فِتيَةٍ فَاضَ النَّعِيمُ عَلَــيْهِمُ وَنَمــاهمُ التبجيــلُ وَالإعظــامُ
ذَهَبَتْ بِهِمْ شِيَمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي تلعــابهمْ هــذرٌ ، وَلاَ إبــرامُ
لاَ يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهَوَى سُمُحُ النُّفُوسِ، عَلَى الْبَلاءِ كِرَامُ
منْ كلّ أبلجَ يستضاءُ بنورهِ كالبدرِ حلــى صــفحتيهِ غمــامُ
سهلُ الخليقةِ لا يسوءُ جليسهُ بَيْنَ الْمَقَامَــةِ، وَاضِــحٌ، بَسَّــامُ
متواضعٌ للقومِ ، تحسبُ أنهُ مولى في الــدارِ وَهــوَ همــامُ
حتى انتبهنا بعدَ ما ذهبَ الصبا إنَّ اللــذاذةَ وَالصــبا أحــلامُ
لاَ تَحْسبَنَّ الْعيْشَ دَامَ لِمترَفٍ هَيْهَاتَ، لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ
تأتي الشهورُ، وَتنتهي ســاعاتها لَمْعَ السَّرَابِ، وَتَنْقَضِي الأَعْــوَامُ
وَالنَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِــكَ وَارِدٌ أَوْ صَادِرٌ، تَجْــرِي بِــهِ الأَيَّــامُ

لاَ طائرٌ ينجو، وَ لاَ ذو مخلبٍ يَبْقَى، وَعَاقِبَةُ الْحَيَاةِ حِمَامُ

فالعيشُ ليسَ يدومُ في ألوانهِ إِلاَّ إِذَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْجَامُ

وَاعلمْ بأنَّ المرءَ ليسَ بخالدٍ و الدهرُ فيهِ صحةٌ وسقامُ

يهوى الفتى طولَ الحياة وإنها دَاءٌ لهُ لوْ يَسْتَبِينُ عُقَامُ

فاطمحْ بطرف كَهلْ ترى منْ أمة خَلَدَتْ؟ وَهَلْ لابْنِ السَّبِيلِ مُقَامُ؟

هذي المدائنُ قد خلتْ منْ أهلها بَعدَ النِّظَامِ، وَهَذِهِ الأَهْرَامُ

لا شيءَ يخلدُ، غيرَ أنَّ خديعة فِي الدَّهْرِ تَنْكُلُ دُونَهَا الأَحْلاَمُ

وَ لقدَ تبينتُ الأمورَ بغيرها وأتى علىَّ النقضُ والإبرامُ

فإذا السكونُ تحركٌ وَإذا الخمود تلهبٌ ، وَ إذا السكوتُ كلامُ

وإذا الحياةُ – وَ لاَ حياةَ – منية تَحْيَا بِهَا الأَجْسَادُ وَهْيَ رِمَامُ

هذا يحلُّ، وَ ذاكَ يرحلُ كارهاً عنهُ، فصلحٌ تارةً ، وَ خصامُ

فالنورُ– لوْ بينتَ أمركَ – ظلمة والْبَدْءُ لَوْ فَكَّرْتَ فِيهِ خِتَامُ

****

وقال رافضا الظلم وحياة الذل

دَعِ الذُّلَّ في الدُّنْيَا لِمَنْ خَافَ حَتْفَهُ

دَعِ الذُّلَّ في الدُّنْيَا لِمَنْ خَافَ حَتْفَهُ ... فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حيَاةٍ عَلَـــى أَذَى

ولا تصطحِب إلاَّ امرأً إن دَعوتَهُ ... لَدَى جَمَرَاتِ الْحَرْبِ، لَبَّاكَ وَاحْتَــذَى

يسرُّكَ عندَ الأمنِ فضلاً وحكمة ... ويرضيكَ يومَ الروعِ نبلاً مُقــذَّذاً

فَيَا حَبَّذَا الْخِلُّ الصَّفِيُّ! وَهَلْ أَرَى ... نصيباً منَ الدنيا إذا قلتُ حبَّذا ؟

لعَمرى لقَد ناديتُ، لو أنَّ ســامِعاً ... ونَوَّهْتُ بِالأَحْرَارِ، لَوْ أَنَّ مُنْقِــذَا

وَطَوَّفْتُ بِالآفَاقِ حتَّى كَــأَنَّنِي ... أُحاولُ من هذى البسيطةِ منفــذا

فَمَا وَقَعتْ عَيْنِي عَلى غَيْرِ أَحْمَقٍ ... غوِّى يَظنُّ المَجدَ فى الرىّ والغِذا

إذا ما رأيتُ الشَّئَ فى غيرِ أهلهِ ... ولَم أستَطع رداً طرفتُ على قذى

فحتَّى متى يا دهرَ أكتمُ لوعة ... تُكَلِّفُ قَلْبِي كُلْفَةَ الرِّيحِ بِالشَّذَا؟

ألم يأن للأيامِ أن تبصِرَ الهدى ... فَتَخفض مأفوناً، وترفعَ جِهبِذا ؟

وقال ناصحا قَلِيلٌ مَنْ يَدُومُ عَلَى الْوِدَادِ

قَلِيلٌ مَنْيَدُومُ عَلَــى الْــودَادِ ... فــلا تَحفَــل بِقــربٍ أو بِعــادِ
إِذَا كَانَ التّغَيُّرُ فــي اللّيَــالِي ... فَكَيْــفَ يَــدُومُ وُدٌّ فــي فُــؤَادِ؟
وَمنْ لَكَ أَنْ تَرَى قَلْباً نَقِيّــا ... ولمّا يَخلُ قلــبٌ مِــن ســوادِ ؟
فلا تَبذل هواكَ إلــى خليــلٍ ... تَظُــنُّ بِــهِ الْوَفَــاءَ، وَلاَ تُعَــادِ
وَكُنْ مُتَوَسِّطاً في كُــلِّ حَــالٍ ... لِتأمنَ ما تخــافُ مِــنَ العِنــادِ
مُدَارَاةُ الرِّجَالِ أَخَفُّ وَطْئــاً ... على الإنسانِ مِن حَربِ الفســادِ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَحْبُوباً إِذَا مــا ... نَحا فى سَــيرِهِ قَصــدَ السَّــدادِ
وما الدُّنيا سوى عَجزٍ وحِرصٍ ... هُمَا أَصْلُ الْخَلِيقَةِ فــي الْعِبَــادِ
فَلَوْلاَ الْعَجْزُ مَا كَانَ التّصَــافِي ... وَلَوْلاَ الْحِرْصُ ما كَانَ التّعَــادِي
وما عقَــدَ الرِّجَــالُ الــوُدَّ إلاّ ... لِنَفعٍ ، أو لِمنــعٍ مِــن تعــادى
وما كانَ العِداءُ يَخــفُّ لــولا ... أذَى السُّلطان أو خوفُ المَعــادَ
فيا ابنَ أَبى ولستَ بهِ ولكِــن ... كِلاَنَــــا زَرْعُ أَرْضٍ لِلْحَصَــــادِ
تَأَمَّلْ، هَلْ تَرَى أَثَــراً؟ فَــإِنّي ... أرى الآثَــارَ تَــذهبُ كالرَّمَــاد
حَيَاةُ الْمَرْءِ في الدُّنْيَا خَيَــالٌ ... وَعَاقِبَــةُ الأُمُــورِ إِلَــى نَفَــادِ
فَطُوبَى لامرِىء غَلَبَتْ هَوَاهُ ... بَصيرتُهُ ؛ فبــاتَ علــى رَشَــادِ

وقال في الزهد

كـــل حـــى ســـيموت لـــيس فـــى الـــدنيا ثبـــوت
حركـــات ســـوف تفنـــى ثـــم يتلوهـــا خفـــوت
و كـــلام لـــيس يحلـــو بعـــده الا الســـكوت
أيهـــا الســـادر قـــل لـــى أيـــن ذاك الجبـــروت؟
كنت مطبوعا علـــى النطـــق فمـــا هـــذا الصـــموت ؟؟
ليـــت شـــعرى ، أهمـــودٌ مـــا أراه ، أم قنـــوت؟
أيـــن أمـــلاك لهـــم فـــى كـــل أفـــق ملكـــوت
زالـــت التيجـــان عـــنهم و خلـــت تلـــك التخـــوت
أصـــبحت أوطـــانهم مـــن بعـــدهم و هـــى خبـــوت
لا ســـميع يفقـــه القـــول و لا حـــى يصـــوت
عمـــرت مـــنهم قبـــور و خلـــت مـــنهم بيـــوت
لم تذد عنهم نحوس الـــدهر إذا حانـــت بخـــوت
خمـــدت تلـــك المســـاعى وانقضـــت تلـــك النعـــوت
إنمـــا الـــدنيا خيـــال باطـــل ســـوف يفـــوت
لـــيس للانســـان فيهـــا غيـــر تقـــوى الله قـــوت

وقال يَرْثِي زَوْجَتَهُ (عديلة هانم يكن)

وَقَد وَرَدَ إِلَيْهِ نَعْيُهَا وهو بِسرَنْدِيبَ:

أَيدَ الْمَنُونِ قَدَحْتِ أَيَّ زِنَـادِ ... وَأَطَرْتِ أَيَّـةَ شُـعْلَةٍ بِفُـؤَادِي

أَوهَنْتِ عَزْمِي وَهْوَ حَمْلَةُ فَيْلَقٍ ... وَحَطَمْتِ عُودِي وَهْوَ رُمْحُ طِرَادِ

لَمْ أَدْرِ هَلْ خَطْبٌ أَلَمَّ بِسَـاحَتِي ... فَأَنَاخَ أَمْ سَهْمٌ أَصَـابَ سَـوَادِي

أَقذَى الْعُيُونَ فأَسْبَلَتْ بِمدَامِعٍ ... تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ كَالْفِرْصَـادِ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أُرَاعُ لِحَادِثٍ ... حَتَّى مُنِيـتُ بِـهِ فَـأَوْهَنَ آدِي

أَبْلَتْنِي الْحَسَرَاتُ حَتَّى لَمْ يَكَدْ ... جِسْمِي يَلُـوحُ لِـأَعْيُنِ الْعُـوَّادِ

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَرَاتِ وَهْيَ لَوَافِحٌ ... وَأُسَفِّهُ الْعَبَرَاتِ وَهْـيَ بِـوَادِي

لا لَوْعَتِي تَدَعُ الْفُؤَادَ وَلا يَدِي ... تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَـادِي

يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَـةٍ ... كَانَتْ خُلاصَةَ عُـدَّتِي وَعَتَـادِي

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا ... أَفَلا رَحِمْتَ مِنَ الأَسَـى أَوْلادِي

أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَـنَمْنَ تَوَجُّعًـا ... قَرْحَى الْعُيُونِ رَوَاجِـفَ الأَكْبَـادِ

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ وَصُغْنَ مِنْ ... دُرِّ الـدُّمُوعِ قَلائِـدَ الأَجْيَـادِ

يَبكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِـرَاقَ حَفِيَّـةٍ ... كَانَـتْ لَهُـنَّ كَثِيـرَةَ الإِسْـعَادِ

فَخُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّـــةٌ وَقُلُوبُهُنَّ مِنَ الْهُمُـــومِ صَـــوَادِي

أَسَلِيلَةَ الْقَمَـــرَيْنِ أَيُّ فَجِيعـــةٍ حَلَّتْ لِفَقْدِكِ بَـــيْنَ هَـــذَا النَّـــادِي

أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكِ رَهِينَـــةً فِي جَوْفِ أَغْبَرَ قَـــاتِمِ الأَسْـــدَادِ

أَوْ أَنْ تَبِينِي عَنْ قَرَارَةِ مَنْزِلٍ كُنْتِ الضِّيَاءَ لَـــهُ بِكُـــلِّ سَـــوَادِ

لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِدْيَةً بِالنَّفْسِ عَنْكِ لَكُنْـــتُ أَوَّلَ فَـــادِي

أَوْ كَانَ يَرْهَبُ صَوْلَةً مِنْ فَاتِكٍ لَفَعَلْتُ فِعْلَ الحَارِثِ بْـــنِ عُبَـــادِ

لَكِنَّهَا الأَقْدَارُ لَـــيْسَ بِنَـــاجِعٍ فِيهَا سِوَى التَّسْـــلِيمِ وَالإِخْـــلادِ

فَبِأَيِّ مَقْدِرَةٍ أَرُدُّ يَـــدَ الأَسَـــى عَنِّي وَقَدْ مَلَكَتْ عِنَانَ رَشَـــادِي

أَفَأَسْتَعِينُ الصَّبْرَ وَهْوَ قَسَاوَةٌ أَمْ أَصْحَبُ السُّلْوَانَ وَهْوَ تَعَادِي؟

جَزَعُ الْفَتَى سِمَةُ الْوَفَاءِ وَصَبْرُهُ غَدْرٌ يَـــدُلُّ بِـــهِ عَلَـــى الأَحْقَـــادِ

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الأَسَى رَعْيَ التَّجَلُّدِ وَهْوَ غَيْـــرُ جَمَـــادِ

هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي أَسَفًا لِبُعْـــدِكِ أَوْ يَلِـــينَ مِهَـــادِي

وَلَهِي عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي وَالدَّمْعُ فِيـــكِ مُـــلازِمٌ لِوِسَـــادِي

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذُكْرَتِي وَإِذَا أَوَيْـــتُ فَأَنْـــتِ آخِـــرُ زَادِي

أَمْسَيْتُ بَعْدَكِ عِبْرَةً لِذَوِي الأَسَى فِي يَومِ كُـــلِّ مُصـــيبَةٍ وَحِـــدَادِ

مُتَخَشِّعًا أَمْشِي الضَّرَّاءَ كَأَنَّنِي أَخْشَى الْفُجَاءَةَ مِنْ صِيَالِ أَعَادِي

مَا بَيْنَ حُزْنِ باطِنٍ أَكَلَ الْحَشَا بِلَهِيبِ سَــوْرَتِهِ وَسُــقْمٍ بَــادِي

وَرَدَ الْبَرِيدُ بِغَيْرِ مــا أَمّلْتُــهُ تَعِسَ الْبَرِيدُ وشَاهَ وَجْهُ الْحَادِي

فَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَــيَّ كَأَنَّمَــا نَهَشَتْ صَمِيمَ الْقَلْبِ حَيَّــةُ وَادِي

وَيُلُمِّــهِ رُزْءًا أَطَــارَ نَعِيُّــهُ بِالْقَلْــبِ شُــعْلَةَ مَــارِجٍ وَقَّــادِ

قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ كَأَنَّمــا كَحَــلَ الْبُكَــاءُ جُفُونَهــا بِقتَــادِ

عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا عَظُمتْ لَــدَيَّ شَــمَاتَةُ الْحُسَّــادِ

لامُوا عَلَى جَزَعِي وَلَمَّا يَعْلَمُوا أَنَّ الْمَلَامَــةَ لا تَــرُدُّ قِيَــادِي

فَلَئِنْ لَبِيدُ قَضَى بِحَوْلٍ كَامــلٍ فِي الْحُزْنِ فَهْوَ قَضَاءُ غَيْرِ جَوَادِ

لَبِسَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلافِ صُرُوفِهِ دُولًــا وَفَــلَّ عَرَائِــكَ الآبَــادِ

كَمْ بَيْنَ عَادِيٍّ تَمَلَّــى عُمْــرَهُ حِقَبــا وَبَــيْنَ حَدِيثَــةِ الْمِيلَــادِ

هَذَا قَضَى وَطَرَ الْحَيَاةِ وَتِلْكَ لَمْ تَبْلُغْ شَــبِيبَةَ عُمْرِهَــا الْمُعتَــادِ

فَعَلامَ أَتْبَعُ مَا يَقُولُ وَحُكْمُــهُ لا يَسْــتَوِي لِتَبَــايُنِ الأَضْــدَادِ

سِرْ يَا نَسِيمُ فَبَلِّغِ الْقَبْرَ الَّذِي بِحِمَى الإِمَــامِ تَحِيَّتِــي وودَادِي

أَخْبِرْهُ أَنِّي بَعْدَهُ فِــي مَعْشَــرٍ يَسْتَجْلِبُونَ صَــلاحَهُمْ بِفَسَــادِي

طُبِعُوا عَلَى حَسَدٍ فَأَنْتَ تَرَاهُمُ مَرْضَى الْقُلُوبِ أَصِحَّةَ الأَجْسَــادِ

وَلَوَ انَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيئَةَ مَا طَوَى لَهُمُ الرَّدَى لَــمْ يَقْــدَحُوا بِزِنَــادِ

كُلُّ امرِئٍ يَومًا مُــلاقٍ رَبَّــهُ والناسُ فِي الدُّنْيَا عَلَــى مِيعَــادِ
وَكَفَى بِعَادِيَةِ الْحَوَادِثِ منْذِرًا لِلْغَافِلِينَ لَــوِ اكْتَفُــوا بِعَــوَادِي
فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ نَظْرَةَ عَاقِــلٍ لِمَصَــــارِعِ الآبَـــاءِ وَالأَجْــدَادِ
عَصَفَ الزَّمَانُ بِهِمْ فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ فِي الأَرْضِ بَيْنَ تَهَــائِمٍ وَنِجَــادِ
دَهْرٌ كَأَنَّا منْ جَرَائِــرِ سِــلْمِهِ فِي حَرِّ يَــومِ كَرِيهَــةٍ وَجِــلادِ
أَفْنَى الْجَبَابِرَ مِنْ مَقَاوِلِ حِمْيَرٍ وأُولي الزَّعَامَةِ مِنْ ثَمُودَ وَعَــادِ
وَرَمَى قُضَاعَةَ فَاسْتَبَاحَ دِيَارَهَا بِالسُّخْطِ مِنْ سَابُورَ ذِي الأَجْنَــادِ
وَأَصَابَ عَنْ عُرْضٍ إِيادَ فَأَصْبَحَتْ مَنْكُوسَةَ الأَعْــلامِ فِــي سِــنْدَادِ
فَسَلِ الْمَدَائِنَ فَهْيَ مَنْجَمُ عِبْرَةٍ عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِــرٍ أَوْ بَــادِي
كَرَّتْ عَلَيهَا الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَدَعْ إِلا بَقَايَـــا أَرْسُـــمٍ وَعِمَـــادِ
وَاعْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْأَلْ عَنْهُمَا بَلْهِيبَ فَهْوَ خَطِيبُ ذَاكَ الْــوَادِي
تُنْبِئْكَ أَلْسِنَةُ الصُّمُوتِ بِمَا جَرَى فِي الدَّهْرِ منْ عَدَمٍ وَمِنْ إِيجَــادِ
أُمَمٌ خَلَتْ فَاسْتَعْجَمَتْ أَخْبَارُهَا حَتَّى غَــدَتْ مَجْهُولَــةَ الإِسْــنَادِ
فَعَلامَ يَخْشَى الْمَرْءُ صَرْعَةَ يَوْمِهِ أَوَلَـــيْسَ أَنَّ حَيَاتَـــهُ لِنفَـــادِ
تَعَسَ امْرُؤٌ نَسِيَ الْمَعَادَ وَمَا دَرَى أَنَّ الْمَنُــونَ إِلَيــهِ بِالْمِرْصَــادِ
فَاسْتَهْدِ يَا مَحْمُودُ رَبَّكَ وَالْتَمِسْ مِنْهُ الْمَعُونَةَ فَهْوَ نِعْــمَ الْهَــادِي

وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الثَّرَى بِالأَمْسِ فَهْوَ مُجِيبُ كُلِّ مُنَــادِي

هِيَ مُهْجَةٌ وَدَّعْتُ يَوْمَ زِيَالِهَا نَفْسِي وَعِشْتُ بِحَسْــرَةٍ وَبِعَــادِ

تَاللهِ ما جَفَّتْ دُمُوعِي بَعْــدَمَا ذَهَبَ الرَّدَى بِكِ يَا بْنَةَ الأَمْجَــادِ

لا تَحْسَبِينِي مِلْتُ عَنْكِ مَعَ الْهَوَى هَيْهَاتَ مَا تَرْكُ الْوَفَــاءِ بِعَــادِي

قَدْ كِدْتُ أَقْضِي حَسْرَةً لَوْ لَمْ أَكُنْ متوَقِّعًــا لُقْيَــاكِ يَــوْمَ مَعَــادِي

فَعَلَيْكِ مِنْ قَلْبِي التَّحِيَّةُ كُلَّمَــا نَاحتْ مُطَوَّقَــةٌ عَلَــى الأَعْــوَادِ

****

وقال في حب مصر

بعد عودته من المنفى

أَبَابِلُ رَأْيَ الْعَيْنِ أَمْ هَذِهِ مِصْرُ ... فَإِنِّي أَرَى فيها عُيُونًا هِيَ السِّحْرُ؟

نَوَاعِسُ أَيْقَظْنَ الْهَوَى بِلَوَاحِظٍ ... تَدِينُ لَهَا بِالْفَتْكَةِ الْبِيضُ وَالسُّمْرُ

فَلَيْسَ لِعَقْلٍ دُونَ سُلْطَانِهَا حِمًى ... وَلا لِفُؤَادٍ دُونَ غِشْيَانِهَا سِتْرُ

فَإِنْ يَكُ مُوسَى أَبْطَلَ السِّحْرَ مَرَّةً ... فَذَلِكَ عَصْرُ الْمُعْجِزَاتِ وَذَا عَصْرُ

فَأَيُّ فُؤَادٍ لا يَذُوبُ صَبَابَةً ... وَمُزْنَةِ عَيْنٍ لا يَصُوبُ لَهَا قَطْرُ

بِنَفْسِي وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ رَبِيبَةٌ ... مِنَ الْعِينِ فِي أَجْفَانِ مُقْلَتِهَا فَتْرُ

فَتَاةٌ يَرِفُّ الْبَدْرُ تَحْتَ قِنَاعِهَا ... وَيَخْطِرُ فِي أَبْرَادِهَا الْغُصْنُ النَّضْرُ

تُرِيكَ جُمَانَ الْقَطْرِ فِي أُقْحُوانَةٍ ... مُفَلَّجَةِ الأَطْرَافِ قِيلَ لَهَا ثَغْرُ

تَدِينُ لِعَيْنَيْهَا سَوَاحِرُ بَابِلٍ ... وَتَسْكَرُ مِنْ صَهْبَاءِ رِيقَتِهَا الْخَمْرُ

فَيَا رَبَّةَ الْخِدْرِ الَّذِي حَالَ دُونَهُ ... ضَرَاغِمُ حَرْبٍ غَابُهَا الأَسَلُ السُّمْرُ

أَمَا مِنْ وِصَالٍ أَسْتَعِيذُ بِأُنْسِهِ ... نَضَارَةَ عَيْشٍ كَانَ أَفْسَدَهُ الْهَجْرُ

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِحُبِّكِ عَالِمًا ... بِأَنَّ جُنُونِي فِي هَوَاكِ هُوَ الْفَخْرُ

فَلا تَحْسَبِي شَوْقِي فُكَاهَةَ مَازِحٍ ... فَمَا هُوَ إِلا الْجَمْرُ أَوْ دُونَهُ الْجَمْرُ

هَوًى كَضَمِيرِ الزَّنْدِ لَوْ أَنَّ مَدْمَعِي ... تَأَخَّرَ عَنْ سُقْيَاهُ لاحْتَرَقَ الصَّدْرُ

إِذَا مَا أَتَيْتُ الْحَيَّ فَارَتْ بِغَيْظِهَا ... قُلُوبُ رِجَالٍ حَشْوُ آماقِهَا الْغَدْرُ

يَظُنُّونَ بِي شرًّا وَلَسْتُ بِأَهْلِهِ ... وَظَنَّ الْفَتَى مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وِزْرُ

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ إِنْ تَرَنَّمَ شَاعِرٌ ... بِقَافِيَةٍ لا عَيْبَ فِيهَا وَلا نُكْرُ

أَفِي الْحقِّ أَنْ تَبْكي الْحَمَائِمُ شَجْوَها ... وَيُبْلَى فَلا يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ حُرُّ

وَأَيُّ نَكِيرٍ فِي هَوًى شَبَّ وَقْدُهُ ... بِقَلْبِ أَخِي شَوْقٍ فَبَاحَ بِهِ الشِّعْرُ

فَلا يَبْتَدِرْنِي بِالْمَلَامَةِ عَاذِلٌ ... فَإِنَّ الْهَوَى فِيهِ لِمُعْتَذِرٍ عُذْرُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ فَضْلٌ عَلَى النُّهَى ... لَمَا ذَلَّ حَيٌّ لِلْهَوَى وَلَهُ قَدْرُ

وَكَيْفَ أَسُومُ الْقَلْبَ صَبْرًا عَلَى الْهَوَى ... وَلَمْ يَبْقَ لِي فِي الْحُبِّ قَلْبٌ وَلا صَبْرُ

لِيَهْنَ الْهَوَى إِنِّي خَضَعْتُ لِحُكْمِهِ ... وَإِنْ كَانَ لِي فِي غَيْرِهِ النَّهيُ وَالأَمْرُ

وَإِنِّي امْرُؤٌ تَأْبَى لِيَ الضَّيْمَ صَوْلَةٌ ... مَوَاقِعُهَا فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ حُمْرُ

أَبِيٌّ عَلَى الْحِدْثَانِ لا يَسْتَفِزُّنِي ... عَظِيمٌ وَلا يَأْوِي إِلَى سَاحَتِي ذُعْرُ

إِذَا صُلْتُ صَالَ الْمَوْتُ مِنْ وَكَرَاتِهِ ... وَإِنْ قُلْتُ أَرْخَى مِنْ أَعِنَّتِهِ الشِّعْرُ

الحكمة

في شعر البارودي

تحتل الحكمة مكاناً ملموسًا في شعر البارودي فلا تكاد تخلو أي قصيدة في ديوانه من الحكمة ، يضمنها ليؤكد فكرته أحيانا ، وأحيانا أخرى يوردها من باب النصح والإرشاد ولعل أسبابا كثيرة جعلته ينحو هذا المنحى من الإكثار منها في شعره **فهو** :

- ❖ كثير الخبرة ؛ عاش طويلا ، وعركته التجارب التي مر بها ، وتعامل مع شرائح كثيرة مختلفة من البشر ؛ منهم الصالح ومنهم الطالح والمخادع والمتلون .
- ❖ وسافر كثيرًا وارتحل بعيدًا عن الوطن ، وعاشر أقواما وجنسيات مختلفة في عاداتها وتقاليدها ، وحتى في عقيدتها ، وهذا كفيل أن يمده بزاد ثقافي واجتماعي .
- ❖ وخاض معارك وحروبا وعاش أحداثها وماكان فيها من نصر أو هزيمة ، فاكتسب من جرائها حنكة ودراية .
- ❖ أمور الحياة وتقلباتها وماكان من أحداث سياسية في مصر أمده بزاد موفور من البصر بتقلبات الدهر وتغير الأحوال .

❖ تأثره بالشعراء الفحول السابقين من أمثال المتنبي وزهير بـن أبي سلمى وأبي العلاء المعري والشريف الـرضي وغـيره مـن كبـار الشعراء .

❖ موهبة البارودي ، وطواعية اللغة والبيان له ، وامتلاكـه ناصـية القول والإبداع الفني .

❖ إجادته الفارسية والتركيـة واطلاعـه عـلى أدب هـذه اللغـات، فضلا عمالديه من مخزون ثقافي .

لهذا كله جرت الحكمة عـلى لسـانه وخطهـا بنانـه، وضـمنها في شعره وبيانه ، فصارت سمة من سمات شعره ، وميزة يمتاز بها قصيده .

وهذه طائفة من حكمه الخالدة : -

لَيْسَ السُّرُورُ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ ... يَفِي بقَدْرِ الَّذِي يَمضِي مِنَ الْحَزَنِ

فَاسْتَبْق نَفْسَكَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً فَطِناً ... وَاقْنَعْ بِعَيْشِكَ فِي سِرْبَالِكَ الْخَشِنِ

وَلا تفُهْ بِحَدِيثِ النَّفسِ إِنَّ بِهِ ... شرَّ الْحَيَاةِ وَسَعْيَ الْحَاسِدِ الأَفِنِ

وَلا تَسَلْ أَحَداً عَوْناً عَلَى أَمَلٍ ... حَتَّى تَكُونَ أَسِيرَ الشّكْرِ وَالْمِـنَنِ

خَيْرُ الْمَعِيشَةِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَةً ... هَوْناً وَثَوْبُكَ مَعْصُومٌ مِنَ الـدَّرَنِ

وَعَاشِرِ النَّاسَ بِالْحُسْنَى فَإِنْ عَرَضَـتْ ... إِسَاءَةٌ فَتَغَمَّـدْهَا عَلَـى الظِّـنَنِ

فَالصَّفْحُ عَنْ بَعْضِ مَا يُمْنَى الْكَرِيمُ بِهِ ... فَضْلٌ يَطِيرُ بِهِ شُكْرٌ بِــلا ثَمَــنِ

هَذَا الطَّرِيقُ فَإِنْ أَخْطَأْتَ شِرْعَتَهُ ... أَضَعْتَ نَفْسَكَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ

وقال:

صَبَرْتُ عَلَى كُرْهٍ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي ... وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً فَهْوَ صَابِرُ

وَمَا الْحِلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ وَالْمَرْءُ عَــاجِزٌ ... بِمُسْتَحْسَنٍ كَــالْحِلْمِ وَالْمَــرْءُ قَــادِرُ

وَلَكِنْ إِذَا قَلَّ النَّصِيرُ وَأَعْوَزَتْ ... دَوَاعِي الْمُنَى فَالصَّبْرُ فِيهِ الْمَعَاذِرُ

فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ ... وَتَنْهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَــوَاثِرُ

وَلِي أَمَلٌ فِي اللهِ تَحْيَا بِهِ الْمُنَى ... وَيُشْرِقُ وَجْهُ الظَّنِّ وَالْخَطْبُ كَاشِرُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى اللهِ فِي الَّذِي ... يُحَاذِرُهُ مِنْ دَهْرِهِ فَهْــوَ خَاسِــرُ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ ... فَلَيْسَ لَهُ فِي مَعْرِضِ الْحَقِّ نَاصِرُ

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ حُلْوَ الزَّمَانِ وَمُرَّهُ ... فَمَا هُوَ إِلا طَائِشُ اللُّــبِّ نَــافِرُ

وَمَا حَمَلَ السَّيْفَ الْكَمِيُّ لِزِينَةٍ ... وَلَكِنْ لأَمْــرٍ أَوْجَبَتْــهُ الْمَفَــاخِرُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلا الْمَعِيشَةَ مَطْلَبٌ ... فَكُلُّ زَهِيدٍ يُمْسِكُ الــنَّفْسَ جَــابِرُ

فَلَوْلا الْعُلا مَا أَرْسَلَ السَّهْمَ نَازِعٌ ... وَلا شَهَرَ السَّيْفَ الْيَمَانِيَّ شَــاهِرُ

مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الدَّنِيَّةَ مَاجِدٌ ... وَيَقْبَلَ مَكْذُوبَ الْمُنَى وَهْوَ صَاغِرُ

عَلَيَّ طِلابُ الْعِزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ ... وَلا ذَنْبَ لِي إِنْ عَارَضَتْنِي الْمَقَادِرُ

فَلا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ يَنْفَعُ رَبَّــهُ ... إِذَا هوَ لَمْ تَحْمَدْ قــرَاهُ الْعَشَــائِرُ

فَقَدْ يَسْتَجِمُّ الْمَالُ وَالْمَجْدُ غَائِبٌ ... وَقَدْ لا يَكُونُ الْمَالُ وَالْمَجْدُ حَاضِرُ

وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى ... لَكَاثَرَ رَبَّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرُ

فَلا غَرْوَ أَنْ حُزْتُ الْمَكَارِمَ عَارِيًا ... فَقَدْ يَشْهَدُ السَّيْفُ الْوَغَى وَهْوَ حَاسِرُ

فَمَا الْفَقْرُ إِنْ لَمْ يَدْنَسِ الْعِرْضُ فَاضِحٌ ... وَلا الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرُفِ الْمَرْءُ سَاتِرُ

فَكَمْ بَطَلٍ فَلَّ الزَّمَانُ شَبَاتَهُ ... وَكَمْ سَيِّدٍ دَارتْ عَلَيهِ الدَّوَائِرُ

وَأَيُّ حُسَامٍ لَمْ تُصِبْهُ كَلالَةٌ ... وَأَيُّ جَوَادٍ لَمْ تَخُنْهُ الْحَوَافِرُ

فَمَهْلا بَنِي الدُّنْيَا عَلَينَا فَإِنَّنَا ... إِلَى غَايَةٍ تَنفَتُّ فِيهَا الْمَرَائِرُ

تَطُولُ بِهَا الأَنْفَاسُ بُهْرًا وَتَلْتَوِي ... عَلَى فَلْكَةِ السَّاقَيْنِ فِيهَا الْمَآزِرُ

هُنَالِكَ يَعْلُو الْحَقُّ وَالْحَقُّ وَاضِحٌ ... وَيَسْفُلُ كَعْبُ الزُّورِ وَالزُّورُ عَاثِرُ

وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الأَمْرُ كُلُّهُ ... فَمَا أَوَّلٌ إِلا وَيَتْلُوهُ آخِرُ

وقال:

أدهى المصائب غدر قبله ثقة ... وأقبح الظلم صد بعد إقبال

ولي من الشعر آيات مفصلة ... تلوح في وجنة الأيام كالخال

ينسى لها الفاقد المحزون لوعته ... ويهتدي بسناها كل قوّال

فانظر لقولي تجد نفسي مصورة ... في صفحتيه فقولي خط تمثالي

ولا تغرنك في الدنيا مشاكلة ... بين الأنام فليس النبع كالضال

إن أبن آدم لولا عقله شبح ... مركب من عظام ذات أوصال

وقال:

أُطَالِبُ أَيَّامِي بِمَا لَيسَ عِنْدَها ... وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وُجْدُهُ

فَمَا كُلُّ حَيٍّ يَنْصُرُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ ... وَلا كُلُّ خِلٍّ يَصْدُقُ النَّفْسَ وَعْدُهُ

وَأَصْعَبُ ما يَلْقَى الْفتَى فِي زَمَانِهِ ... صَحابَةُ مَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ فَقْدُهُ

وَلِلنُّجْحِ أَسْبَابٌ إِذَا لَمْ يَفزْ بها ... لَبِيبٌ منَ الْفِتْيَانِ لَمْ يُورِ زَنْدُهُ

وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْمرْءَ جَدُّهُ ... عَلى سَعيهِ لمْ يَبْلُغِ السّوْلَ جِدُّهُ

وَمَا أَنَا بِالْمغْلُوبِ دُونَ مَرامِهِ ... وَلَكِنَّهُ قَدْ يَخْذُلُ الْمَرْءَ جَهْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَتْ ... عَلَيهِ، فَلَا يَأْسَفْ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ

وَمَنْ ذَلَّ خَوْفَ الْمَوتِ كَانَتْ حَيَاتُهُ ... أَضَرَّ عَلَيهِ مِنْ حِمامٍ يَؤُدُّهُ

وَأَقْتَلُ دَاءٍ رُؤْيَةُ الْعَينُ ظَالِمًا ... يُسِيءُ، وَيُتْلَى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ

عَلامَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلا ... أَيَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا بِيَوم يَعُدُّهُ؟

يَرَى الضَّيْمَ يَغْشَاهُ فَيَلْتَذُّ وَقْعَهُ ... كَذِي جرَبٍ يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ جِلْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَاقَى السَّيْلَ ثُمَّتَ لَمْ يَعُجْ ... إِلَى وَزَرٍ يَحْمِيهِ أَرْدَاهُ مَدُّهُ

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ ... بِهَا بَطَلا يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شَدُّهُ

مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى بِمَذَلَّةٍ ... وَفِي السّيفِ مَا يَكْفِي لِأَمْرٍ يُعِدُّهُ

وقال:

أُصَبِّرُ عَنْكِ النَّفْسَ وَهْيَ أَبِيَّةٌ ... وَهَيْهَاتَ صَبْرُ الظَّامِئَاتِ عَنِ الْوِرْدِ

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَمَا السَّيْفُ إِلا آلَــةٌ حَمِلُهَــا إِدُّ

إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ زَكَا فَنَاءٌ فَمكْرُوهُ الْفَنَاءِ هُــوَ الْخُلْــدُ

وَتَخْلِيدُ ذِكْرِ الْمَرْءِ بَعْدَ وَفَاتِهِ حَيَاةٌ لَهُ لا مَــوْتَ يَلْحَقُهَــا بَعْــدُ

فَفِيمَ يَخَافُ الْمَرْءُ سَوْرَةَ يَومِهِ وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقْعِهِ بُــدُّ

وقال:

لا بُدَّ لِلضيق بَعدَ اليأسِ من فَرَجٍ وكُلُّ داجِيــةٍ يَومــاً لإشــراق

وقال:

لاَ يَطْمِسُ الْجَهْلُ مَا أَثْقَبْتُ مِنْ شــرَفٍ وكيفَ يحجبُ نورَ الجونةِ الدخنُ ؟

قدْ يرفعُ العلمُ أقواماً وَإِنْ تربــوا وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَقْوَاماً وَإِنْ خَزَنُــوا

فَرُبَّ ميْتٍ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ نَسَمٌ وربَّ حيٍّ لهُ منْ جهلــهِ كفــنُ

فلا تغرنكَ أشباهٌ تمــرُّ بهــا هَيْهَاتَ، مَا كُلُّ طِرْفٍ سابِقٌ أَرِنُ

لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ فِي تَصَرُّفِهِ لعاشَ حراً، وَ لمْ تعلقْ بهِ المحنُ

وأيُّ حيٍّ وَ إِنْ طالتْ سلامتهُ يبْقَى ؟ وَأَيُّ عَزِيزٍ لَيْسَ يمــتَهَنُ

كَفَى بِحَرْبِ النَّوَى سَلماً نَجَوْتُ بِــهِ وربَّ مخشيةٍ في طيهــا أمــن

وكلُّ شيءٍ لهُ بدءٌ وعاقبــة وكيفَ يبقى على حدثانهِ الزمنُ ؟

وقال:

بقوةِ العلمِ تقوى شوكةُ الأممِ فَالْحُكْمُ في الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ

كمْ بينَ ما تلفظُ الأسيافُ منْ علقٍ ... وَبَيْنَ مَا تَنْفثُ الأَقْلامُ مِنْ حِكَمِ

لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ كَانَ الفَضْلُ بَيْنَهمُ ... بقَطْرَةٍ مِنْ مِدَادٍ، لاَ بِسَفْكِ دَمِ

فاعكفْ علىَ العلمِ، تبلغْ شأوَ منزلة ... في الفضلِ محفوفةٍ بالعزِّ وَالكرمِ

فليسَ يجنى ثمارَ الفوزِ يانعةً ... منْ جنةِ العلمِ إلاَّ صادقُ الهممِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ ... سَبْقُ الرِّجَالِ، تَسَاوَى النَّاسُ في الْقِيَمِ

وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الدَّهْرِ، إِنْ ذَهَبَتْ ... أَوْقَاتُهَا عَبَثاً، لَمْ يَخْلُ مِنْ نَدَمِ

لَوْلاَ مُدَاوَلَةُ الأَفْكَارِ مَا ظَهَرَتْ ... خَزَائِنُ الأَرْضِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ

فَاسْتَيْقِظُوا يَا بَنِي الأَوْطَانِ، وانْتَصِبُوا ... للعلمِ ؛ فهوَ مدارُ العدلِ في الأممِ

فَرُبَّ ذِي ثَرْوَةٍ بِالْجَهْلِ مُحْتَقَرٍ ... وَربَّ ذي خلةٍ بالعلمِ محترم

وَأَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ أَفْضَى إِلى أَمدٍ ... في الفضلِ ، وَ امتازَ بالعالي منَ اليمِ

لَوْلاَ الْفَضِيلَةُ لَمْ يَخْلُدْ لِذِي أَدَبٍ ... ذِكرٌ عَلَى الدَّهْرِ بَعدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ

فلينظرِ المرءُ فيما قدمتْ يده ... قَبْلَ الْمَعَادِ، فإِنَّ الْعُمْرَ لَمْ يَدُمِ

وقال:

لاَ تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمترَفٍ ... هَيْهَاتَ، لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ

تأتي الشهورُ، وَتنتهي ساعاتها ... لَمْعَ السَّرَابِ، وَتَنْقَضِي الأَعْوَامُ

وَالنَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَارِدٌ ... أَوْ صَادِرٌ، تَجْرِي بِهِ الأَيَّامُ

وَاعلمْ بأنَّ المرءَ ليسَ بخالدٍ ... والدهرُ فيهِ صحةٌ وَ سقامُ

وقال:

دَعِ الذُّلَّ في الدُّنْيَا لِمنْ خَافَ حَتْفهُ ... فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حيَاة عَلَى أَذَى

ولا تصطحِب إلاَّ امرأً إن دَعوتَهُ ... لَدَى جَمرَاتِ الْحَرْبِ، لَبَّاكَ وَاحْتَذَى

إذا ما رأيتُ الشَّئَ فى غيرِ أهلهِ ... ولَم أستَطع رداً طرفتُ على قذى

وقال:

قَلِيلٌ مَنْ يَدُومُ عَلَى الْـوِدَادِ ... فـلا تَحفَـل بِقـربٍ أو بِعـادِ

إِذَا كَانَ التّغَيُّرُ فـي اللّيَـالِي ... فَكَيْـفَ يَـدُومُ وُدٌّ فـي فُـؤَادِ؟

وَمنْ لَكَ أَنْ تَرَى قَلْباً نَقِيّـا ... ولمّا يَخلُ قلـبٌ مِـن سـوادِ ؟

فلا تَبذل هواكَ إلـى خليـلٍ ... تَظُـنُّ بِـهِ الْوَفَـاءَ، وَلاَ تُعَـادِ

وَكُنْ مُتَوَسِّطاً في كُـلِّ حَـالٍ ... لِتأمنَ ما تخـافُ مِـنَ العِنـادِ

مُدَارَاةُ الرِّجَالِ أَخَـفٌّ وَطْئـاً ... على الإنسانِ مِن حَربِ الفسـادِ

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَحْبُوباً إِذَا مـا ... نَحا فى سَـيرهِ قَصـدَ السَّـدادِ

وما الدّنيا سوى عَجزٍ وحِرصٍ ... هُمَا أَصْلُ الْخَلِيقَةِ فـي الْعِبَـادِ

فَلَوْلاَ الْعَجْزُ مَا كَانَ التّصَافِي ... وَلَوْلاَ الْحِرْصُ ما كَانَ التّعَـادِي

وما عقَدَ الرِّجـالُ الـوُدَّ إلاّ ... لِنَفعٍ ، أو لِمنـعٍ مِـن تعـادى

وما كانَ العِداءُ يَخفُّ لـولا ... أذَى السُّلطان أو خوفُ المَعـادَ

حَيَاةُ الْمَرْءِ في الدُّنْيَا خَيَـالٌ ... وَعَاقِبَـةُ الأُمُـورِ إِلَـى نَفَـاد

وقال:

ليس الصديق الذي تعلو مناسبه ... بل الصديق الذي تزكو شمائله

إذا ستر الفقر امرأ ذا نباهة ... فلابد يوما أن يشيد به الفضل

فإن لهيب النار مهما كفأته ... إلى أسفل قسرا فلابد أن يعلو

ألا إن أخلاق الرجال وإن نمت ... فأربعة منها تفوق على الكل

وقار بلا كبر وصفح بلا أذى ... وجود بلا من وحلم بلا ذل

وقال:

فإياك والدنيا فإن نعيمها ... يزول وملبوس الجديدين يخلق

فإن هي أعطتك الليان فإنها ... ستخشن من بعد الليان وتخرق

فلاودها يبقى ولاصفو عيشها ... يدوم ولاموعودها يتحقق

وقال:

لايدرك الغاية القصوى سوى رجل ... ثبت العزيمة ماض حيث ينخرط

إن مسه الضيم ناجى السيف منتصرا ... أو همه الأمر لم يعلق به الثبط

فاقذف بنفسك في أقصى مطالبها ... إن النجاح بسعي المرء مرتبط

قد يظفر الفاتك الألوى بحاجته ... وليس يدركها الهيابة الخلط

بادر الفرصة واحذر فوتها ... فبلوغ العز في نيل الفرص

المصادر والمراجع للتوسّع

1- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار المكتبة الحياة .

2- د.عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، أكتوبر 1989م.

3 - د. جودت الركابي، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، دار الفكر.

4- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الشام، ج 6 دار المعارف، مصر.

5- ديوان البارودي، تحقيق علي الجارم ومحمد معروف، دار العودة، بيروت، لبنان (د،ط)، 1992 .

6- شيخ أمين، بكري، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، دار الشروق، بيروت 1972م.

المؤلف

دكتور / نعمان عبد السميع متولي

دكتوراه في الأدب العربي

صدر للمؤلف :

1 – البلاغة المعاصرة

2 – النحو المعاصر

3 – التناص اللغوي

4 – الانزياح اللغوي

5 – المفارقة اللغوية

6 – المقاربة النصية

7 – ثنائية البلاغة والأسلوب

8 – مكونات الجملة والأسلوب

9 – في مدارات النقد الأدبي

10 – إيقاع الشعر العربي

11- الأساس في قواعد الإملاء

12- صلاح جاهين شيخ الزجالين

13- القراءة والتلقي

14- موسوعة الشعر العربي (6أجزاء)

15- موسوعة الخط العربي (3 أجزاء)

16- المرشد المعاصر إلى طرائق التدريس

17- معالم النص الإليكتروني

18- متفرقات في النحو

19- الخطاب الشعري

20- الأساس في الضبط والإعراب

21- الأمثال العربية بين الفصحى والعامية

22- سبحات الفكر (ديوان شعر)

23- قليل من البوح (ديوان شعر)

24- روائع الحصاد من لغة الضاد

25- أفاويق التورية، حلية الكلام ومتعة الأفهام

26 – المناهج الدراسية

27 – التشكيل الدرامي في الأدب العربي

28 – قبس من الذكريات

29 – أصول التربية في القرآن الكريم

30 – تجليات التجربة الشعرية